الإنساني 64

عشرون عاماً من الإنساني

حروب الصحافيين الخاصة (ملف)

تصدر دوريًّا عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر
ICRC
غير مخصصة للبيع
العدد الرابع والستون
خريف/شتاء 2018

■ عشرون سنة مرَّت.. ومازال الخطر يتصاعد ■

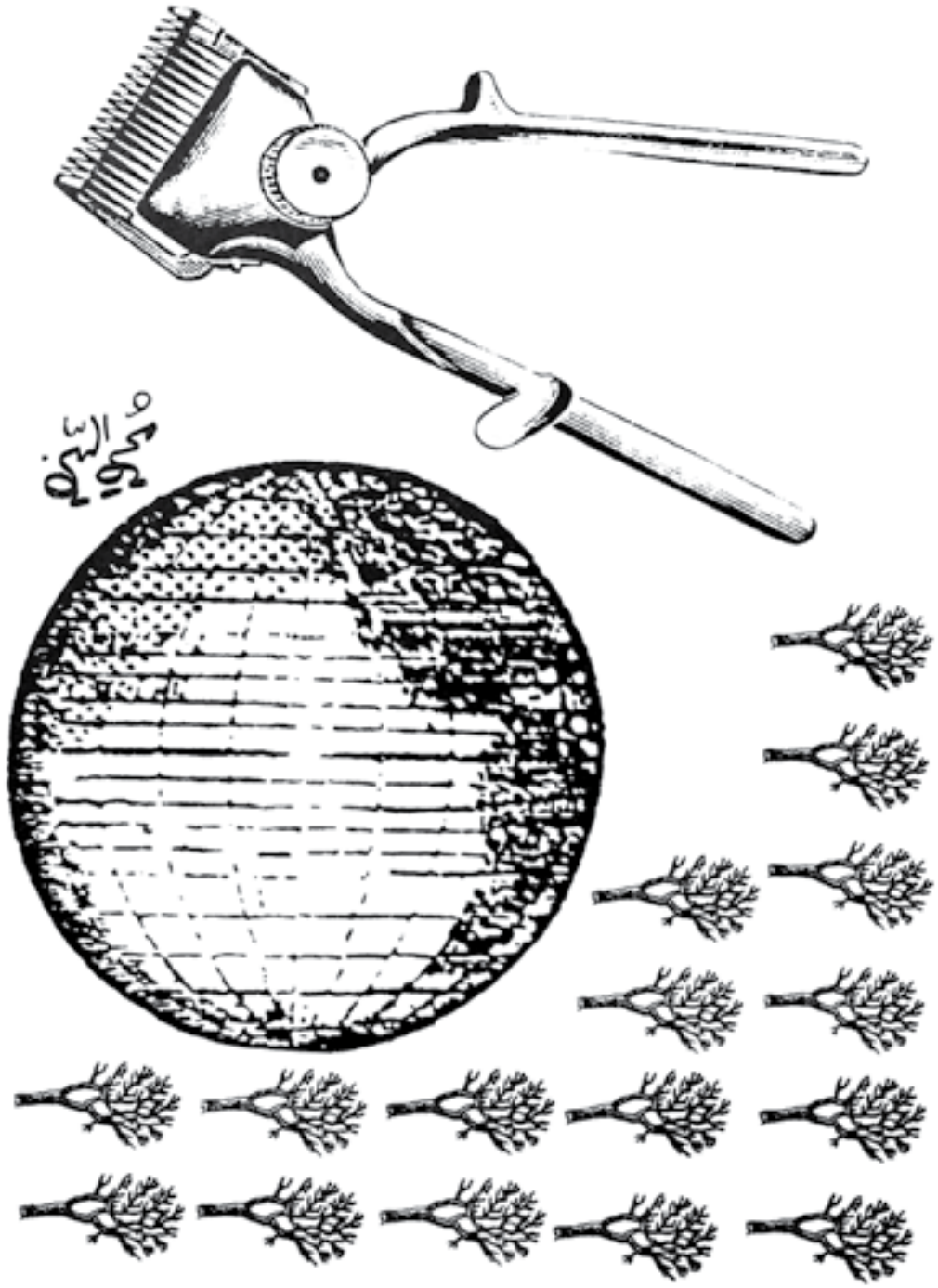

الرسم: **محيي الدين اللباد** ، مصر [1940 – 2010] ... أول كاريكاتير نُشر في العدد الأول من مجلة الإنساني بمناسبة مرور 20 عامًا على بداية صدور المطبوعة

الحروب كما رآها صحافيون عرب

لم نجد مناسبة أفضل من ذكرى مرور عشرين عامًا على إطلاق مجلة «الإنساني» (صدر عددها الأول في كانون الأول/ديسمبر 1998)، كي نفتح ملفًا طالما وجهت هذه المجلة عنايتها إليه، وخصصت له جل جهودها، وهو تغطية الحروب وفتح نافذة للسكان المدنيين كي يحدثونا عن معاناتهم. يتلاحم الأمران في هذا العدد؛ أي احتفالنا بعيد «الإنساني» العشرين، مع محاولة تقديم كشف حساب للتغطيات الإعلامية للموجة الأخيرة من نزاعات المنطقة العربية. استهلت مجلتنا هذه رسالتها استهلالًا متواضعًا (في الإمكانيات) لكن بتفرد واضح: انطلقت كنشرة تنشر ثقافة القانون الدولي الإنساني وتعطي، في الوقت نفسه، صوتًا للفئات التي تتحدى واقع الحرب: النساء والرجال من المتضررين من النزاعات، من النازحين واللاجئين والعاملين في المجال الإنساني وأطقم الرعاية الصحية، والصحافيين الذين يحاولون نقل حقيقة ما يجري على مسرح القتال. كانت التغطية الخبرية من الميدان معطوفة دائمًا على محاولات لتقديم القانون الدولي الإنساني لطائفة أوسع من القراء. لم تكل «الإنساني» ولم تمل من أن تكرر في كل عدد أن للحرب قواعد، كحظر استهداف غير المقاتلين والأعيان المدنية، وأن على جميع الأطراف المنخرطة في القتال احترام هذه القواعد.

وخلال السنوات العشرين الماضية، صدر من «الإنساني» أربعة وستون عددًا، تمثل شهادة ووثيقة لمختلف النزاعات المسلحة التي مرت بها المنطقة والعالم، وصولًا إلى موجة الحروب الطاحنة التي اجتاحتنا منذ العام 2011، والتي رأينا فيها الملايين وهي تفر هاربة بحياتها، نازحة أو لاجئة، مخلفة وراءها مدنها الأثيرة وهي تترنح تحت وقع هجمات عسكرية قاسية.

وكما علمتنا خبرة الحرب العالمية الأولى، التي مرت منذ أسابيع ذكرى مئة عام على نهايتها، فهناك وجوه ومعانٍ أخرى للحرب غير صور المعاناة الصامتة والدمار الوحشي. في حرب الأعوام (1914–1918)، لم تؤدِّ الأعمال القتالية إلى تطورات في مجالات التكنولوجيا والمواصلات والطب فحسب، وإنما أدت إلى ظهور تيارات تنادي بالسلام وتبدي مشاعر فياضة من التضامن الإنساني مع معاناة السكان المدنيين. في هذه الحرب أيضًا قفزت التغطية الصحافية للحروب لمستويات لم يعهدها العالم آنذاك. وبوجه ما من الشبه، كانت حروب العالم العربي مناسبة ظهر من بين ثناياها طائفة من مراسلي الحرب العرب، قدموا تغطيات على مستوى رفيع من العمق والإحاطة: تجدهم يتحدثون بعربية صريحة وفصيحة، عربية واضحة ودقيقة، ولا تخلو أبدًا من بلاغة حية في وصف واقع لا نذكر له شبيهًا في تاريخنا الحاضر. حاول هؤلاء نقل صور لم يألفها أغلب من يعيشون في المنطقة العربية حاليًا. صور قتل مئات الآلاف، واقتلاع ملايين السكان من جذورهم، والقضاء على حواضر عربية وعلى ما تمثله من فرادة في العمارة والفنون والآداب. بعض هؤلاء الصحافيين تمسك بحياد راسخ، وحافظ على مسافة متوازنة من جميع أطراف القتال (على ما قد يبديه البعض من تحفظ على «حياد الصحافي»)، وبعضهم مال برأي لهذا الطرف أو ذاك. لكن النتيجة حاضرة وظاهرة: سمعنا أصواتًا عربية، تروي مأساة الحروب. تابعنا صحافيات وصحافيين ناضلوا من أجل تقديم تغطية شاملة وعادلة ومتوازنة لمختلف السياقات التي مزقتها الحروب في المنطقة.

في هذا العدد، نحاول أن نستمع إلى صحافيين وهم يروون لنا قصص الحروب التي خاضوا غمار تغطيتها، يسردون لنا شهاداتهم وهم يجتازون امتحان أن تكون صحافيًا موضوعيًا زمن الحرب. أصحاب هذه الشهادات صحافيات وصحافيون أضحى لهم باع في تغطية الحروب، ومكانة في التركيز على أن غير المقاتلين في الحروب بشر من لحم ودم، وليسوا مجرد أرقام.

وهذا ملفنا الرابع في «الإنساني» عن الإعلام والنزاعات المسلحة. استعرضنا في العدد 31 (2005) موضوع «الإعلام وقضايا العمل الإنساني»، وبادرنا في العام 2011 وتحدثنا عن حماية الصحافيين في النزاعات المسلحة في ملف العدد «52» وعنوانه «الإعلاميون.. شهودًا على الحرب». وبقدر أكبر من التفصيل، رصدنا في العام 2015 في العدد «58» تحديات الدور الإعلامي لـ«شبكات التواصل الاجتماعي... ذواتنا المتعددة».

نأمل أن تجدوا ما يفيد في هذا العدد، على وعد أن تستكمل «الإنساني»، وهي تبدأ عامًا جديدًا من حياتها، مهمتها في أن تكون صوتًا لمن لا صوت لهم في حروب عالم اليوم.

«الإنساني»

الإنساني

تصدر دوريًا عن
اللجنة الدولية للصليب الأحمر

رئيس التحرير **زينب غصن**

مدير التحرير **أحمد زكي عثمان**

مستشار التحرير **مارتن أونترنيرر**

المراسلات : 84 شارع 104 حدائق المعادي، القاهرة 11431، مصر
هاتف : 41/25281540–202+ فاكس : 25281566–202+
البريد الإلكتروني: alinsani@icrc.org
الموقع الإلكتروني: http://blogs.icrc.org/alinsani/

الآراء الواردة بهذه المطبوعة لا تعبر إلا عن وجهة نظر أصحابها

الإشراف الفني **أحمد اللباد**

ICRC

اللجنة الدولية للصليب الأحمر منظمة مستقلة محايدة، أنشئت عام 1863. مهمتها إنسانية بحتة، تتمثل في حماية أرواح ضحايا الحرب وكرامتهم وتقديم المساعدة لهم. تقوم اللجنة بتوجيه وتنسيق أنشطة الإغاثة التي تنفذها الحركة الدولية للصليب والهلال الأحمر. وتعمل على ترويج وتدعيم القانون والمبادئ الإنسانية العالمية.

REUTERS

نازحون يمنيون يحظون ببعض الراحة في مخيم مؤقت بمحافظة حجة في نيسان/ أبريل 2018.
(تصوير: عيسى أحمد/ أ. ف. ب)

AFP

64 خريف/شتاء 2018

شريط الأخبار لا يكفي: 20 مليون قصة يمنية بين الأمل والمعاناة ..... سلمى عودة 05
الإنساني: عشرون عامًا من الصحافة 09
مجلة الإنساني: ثقافة قانون الحرب بنكهة عربية ..... زينب غصن 10
محطات في مسيرة مجلة ..... عنايات فريد 12
محيي الدين اللباد: «الإنساني» كورشة دورية لتصميم النور ..... أحمد اللباد 16
الملف: حروب الصحافيين الخاصة 17
العمل الصحافي في غزة .. بطاقة سفر في اتجاه واحد ..... لنا شاهين 18
مهمة وسط النيران ..... سارة نور الدين 20
الإعلام العربي وتحديات مهنية في تغطية النزاعات ..... مازن أمان اللّه 24
في حمص.. امتلكتُ الحقيقة ..... أندى الخطيب 26
تغطية موسمية: اللاجئون طرف صامت في الإعلام العربي ..... آيات الحبال 27
الوطن في اللمَّة (مقال مصور)..... روجيه أنيس 30
صباح الخير.. هنا الحرب! ..... نهى عاطف 32
الصحافي الفلسطيني محمد دراغمة: وظيفتنا التنوير وليس الثورة
..... حاوره: أحمد زكي عثمان 34
إعلام أسود: الامتداد الرقمي للعنف والكراهية ..... محمد علام 36
نوبل 2018: العنف الجنسي في الحروب تحت دائرة الضوء ..... هيلين دورهام 39
الرجال يصنعون الحروب والنساء يعانين من ويلاتها 42
الروبوتات القاتلة.. الآلة عندما تشن الحرب ..... العشعاش إسحاق 44
عسكريون كبار يناقشون تحديات الامتثال لقواعد الحرب 47
زيارة عائلية ..... إليونا سينينكو 48
يوم في حياة اللجنة الدولية للصليب الأحمر 50
عرض كتاب: تاريخ اللجنة الدولية للصليب الأحمر في خمسة مجلدات 51
بلا رتوش: متاحف متنقلة للآلام ..... محمد المخزنجي 52
في وداعهما الحزين: دعونا نخبركم قليلًا عن بطلتينا حواء وسيفورا 54
من أركان العالم 55
إصدارات 58

ICRC

تحول اليمن في السنوات الأخيرة إلى أكبر مأساة إنسانية في العالم، إذ يواجه الشعب اليمني كله تقريبًا تحديًا قاسيًا مع الزمن، يعاني هؤلاء من قسوة الظروف مع تفاقم الجوع الشديد الذي يفتك بالبلاد. وتعجز الكلمات عن وصف درجة المعاناة الرهيبة للأهالي التي يقول البعض إنها قد تتحول إلى أسوأ مجاعة عرفها العالم منذ مئة عام.

شريط الأخبار لا يكفي

20 مليون قصة يمنية بين الأمل والمعاناة

... **اليمن** والأمل كلمتان لا يليق بهما أن تكونا في الجملة نفسها، أليس كذلك؟ إذ كيف يتجاور الأمل مع بلد أصبح مضرب الأمثال في اليأس من فرط الواقع المريع الذي يرزح تحته سكان البلاد. لكنك قد تدهش إذا علمت أن اليمنيين يصرون على تسمية أبنائهم والمحلات التجارية، موارد رزقهم، بهذا الاسم. وهذه مجرد صورة مبهرة للصمود أمام وضع لا يطيقه بشر في وسط نزاع مستمر منذ العام 2015 مخلفًا وراءه يمنًا كان يُوصف يومًا بـ«اليمن السعيد». يتصدر اليمن اليوم عناوين الأخبار، لكنه مقرون دائمًا بقاموس محدود من المفردات: الجوع الشديد، اللجوء، النزوح، الدمار، النزاع المسلح، المرض، الضحايا. اليمن الآن هو مكان أكبر مأساة إنسانية في العالم. ولو ساء الوضع أكثر من هذا ستكون هذه أسوأ مجاعة عرفها العالم في مئة عام.

سلمى عودة*

هذا ما حدث لليمن المعروف بطيبة وسماحة أهله وعمارته المميزة، وقهوته الرائعة. اليمن الذي كان في الماضي مركزًا حضاريًا مرموقًا. تغير البلد كلية، لأن للحرب رأيًا آخر.

غيرت الحرب تصوراتنا عن اليمن. غيرت من الحقائق التي نعرفها عن البلد، مضيفة حقائق أخرى أكثر ألمًا وحرقة لا يتسع لها أي شريط للأخبار. قد يتحجج البعض بأن الوضع في اليمن معقد، لكن لو لديك ثوان معدودة قد تفهم حجم المعاناة جراء النزاع الدائر. في اليمن هناك 27 مليون شخص يعتمد 80 في المئة منهم على المساعدات للبقاء على قيد الحياة. 58 في المئة منهم لا يحصلون على مياه نظيفة، 52 في المئة لا يجدون مشفى يداويهم، وذلك لأن النزاع المسلح قوض قطاع الرعاية الصحية، فقد تعرض أكثر من 160 مستشفى وعيادة للهجوم. ويعمل اليوم أقل من 45 في المئة من المنشآت الصحية. يعاني 11في المئة من أهل اليمن من سوء التغذية.

للأرقام قصص

لو تهت في هذه الأرقام المفزعة، دعنا نيسرها لك مرة أخرى: لو كان عدد سكان اليمن 100 شخص، فهناك 77 منهم يحتاجون الدعم للبقاء أحياء، فيما لا يملك

REUTERS

* مسؤولة الإعلام الرقمي في «المركز الإقليمي للإعلام» التابع للجنة الدولية للصليب الأحمر – القاهرة

نصفهم غذاءً كافيًا، وهناك 13 منهم يعانون سوء التغذية الحاد، مع 11 منهم فروا من منازلهم بسبب النزاع المسلح المستعر في بلاد عدد سكانها ليس مئة شخص، وإنما قرابة الثلاثين مليونًا. بكلمات أخرى، يتضور اليمن جوعًا حتى الموت. يعيش الملايين من السكان على وجبة طعام واحدة في اليوم ولا يعرف معظمهم من أين ستأتي وجبتهم التالية. باختصار: «**يجب على العديد من العائلات اليمنية اليوم أن تختار بين الغذاء والدواء**»، على حد وصف **فابريزيو كاربوني**، المدير الإقليمي للجنة الدولية، في تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي.

انهار الريال عملة البلاد وارتفعت أسعار السلع الأساسية، الدقيق والسكر والأرز والحليب، بأكثر من 30 في المئة في تشرين الأول/ أكتوبر فقط، متجاوزة الموازنات المتواضعة لمعظم العائلات اليمنية.

وقعت الحديدة في فخ العنف مجددًا، ورأينا هناك أكثر من 20 ألف شخص بحاجة ماسة للطعام والماء والمأوى والدواء، وهناك عائلات تنام في العراء مع اقتراب فصل الشتاء، حسبما تقول سارة الزوقري، المتحدثة الرسمية للجنة الدولية. ومع أن هناك منظمات إنسانية تنشط وتسابق الزمن لتلبية الاحتياجات الأساسية، وتوفير ما يمكن توفيره لإنقاذ الحيوات المهددة، لكن لا يمكن لهذه المنظمات الإنسانية أن تحل محل اقتصاد بلد ما، لا سيما مع تواصل النزاع، ومع تجاهل الأطراف المنخرطة لقواعد الحرب.

وقد شاهدت فرق اللجنة الدولية في الميدان كيف يتنامى الخوف بين أوساط اليمنيين من تعرضهم للإصابة العرضية أو استهدافهم عن عمد بسبب القتال الضاري في الحديدة. وقد اقترب القتال من المراكز الصحية، ما نجم عنه تعطل الخدمات في مستشفى 22 مايو بالحديدة. ولم يكن يفصل مستشفى الثورة، أكبر مستشفيات الحديدة، عن جبهة القتال سوى بضعة أمتار، وتتزايد المخاوف بشأن عدم قدرة المرافق الصحية التي لا تزال تعمل على تقديم الخدمات بانتظام، أو مواكبة تدفق محتمل للضحايا على أبوابها إذا ما نجم عن القتال تعطل منشآت صحية أخرى. وعندما زارت فرقنا مؤخرًا أسر نازحة تعيش في إحدى مدارس الحُديدة، وجدت هذه الأسر وهي لا تأكل سوى دقيق مخلوط بالماء أو حصص قليلة من الأرز، فيما يعاني أطفال هذه الأسر من نحافة مثيرة للقلق بسبب نقص الغذاء.

بعد نحو ثلاث سنوات من اقتتال لا يرحم، فإننا أمام مخاطر أن يتحول اليمن إلى أسوأ مجاعة عرفها العالم في مئة عام، حسبما تقول جمعية الصليب الأحمر البريطاني

REUTERS

مطالب خمسة من اللجنة الدولية

1) **لا بد أن تكف الأطراف المتحاربة عن استهداف المدنيين.**

2) **لا بد أن تكف الأطراف المتحاربة عن استهداف البنية التحتية المدنية، مثل المستشفيات والمدارس.**

3) **لا بد أن تلتزم الأطراف المتحاربة بالمسافات الضرورية بعيدًا عن البنية التحتية المدنية حتى تتجنب جعلها هدفًا عسكريًّا.**

4) **لا بد أن تسمح الأطراف المتحاربة للمدنيين بالفرار من مناطق القتال، وأن تسمح بحرية الحركة للسلع مثل المواد الغذائية والأدوية.**

5) **لا بد أن تواصل الأطراف المتحاربة تيسير مهام العمل الإنساني داخل اليمن.**

المعاناة حقيقة وليست مجرد أرقام

لكن هذه الأرقام قد لا تصل دلالتها لمن يجلس في الطرف الآخر يتابع الأخبار من شاشة التلفاز أو صفحات التواصل الاجتماعي. قد لا نشعر بمريض غسيل كلوي يتلوى من الألم لأن جلسات علاجه نقصت للنصف، بعد أن أغلقت نصف مراكز غسيل الكُلى أبوابها بسبب النزاع ونقص المستلزمات، تاركة واحدًا من كل أربعة مرضى عرضة للموت بسبب هذا النقص. مريض فشل كلوي من المخا لم يعد يستطيع تحمل كلفة السفر أسبوعيًّا لتعز لتلقي العلاج فأصبح ينام في الشارع أمام المشفى فقط ليحظى بفرصة للبقاء حيًّا.

شريط الأخبار لم ينقل الصورة كاملة. سيعجز عن إيصال مرارة أم، اسمها للمفارقة الحزينة «أمل». هذه المرأة، التي ليس لها من اسمها نصيب، انقلبت حياتها عندما دمَّر القتال منزلها. أصابت رصاصة قناص طائشة رقبتها. أخبرها الطبيب أنها لن •••

لو لديك ثوان معدودة، قد تفهم حجم المعاناة جراء النزاع الدائر في اليمن على المساعدات للبقاء على قيد الحياة:

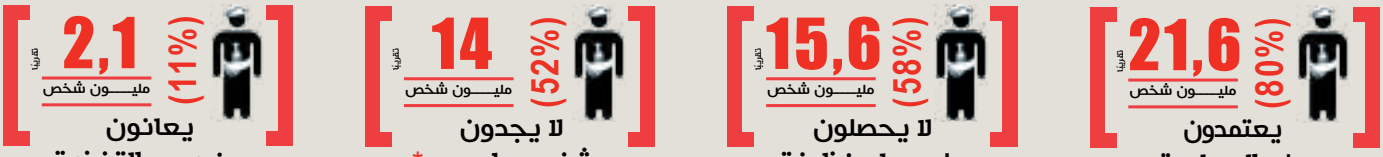

* أصيب قطاع الرعاية الصحية بالإنهاك. حيث تعرض أكثر من 160 مستشفى وعيادة للهجوم. وتعمل اليوم أقل من 45٪ من المنشآت الصحية

لو تُهت في هذه الأرقام المفزعة، دعنا نيسرها لك:

لـو كان عدد سكان اليمن 100 شخص، فإن:

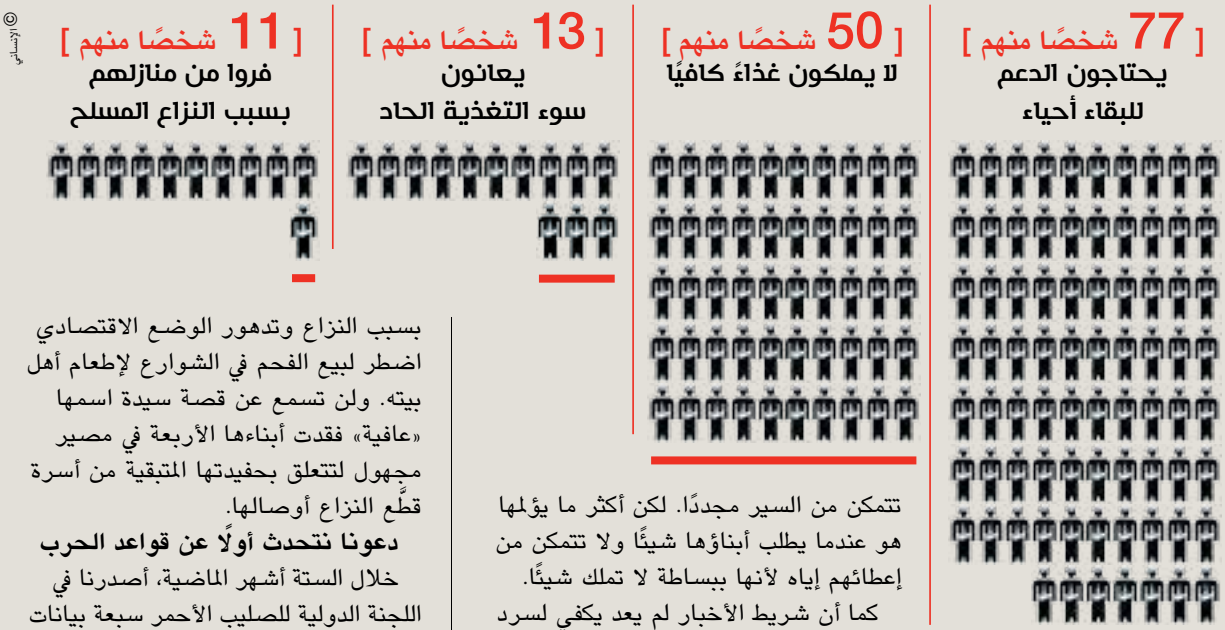

تتمكن من السير مجددًا. لكن أكثر ما يؤلمها هو عندما يطلب أبناؤها شيئًا ولا تتمكن من إعطائهم إياه لأنها ببساطة لا تملك شيئًا.

كما أن شريط الأخبار لم يعد يكفي لسرد قصة أب كان يعمل مهندس بترول، لكن بسبب النزاع وتدهور الوضع الاقتصادي اضطر لبيع الفحم في الشوارع لإطعام أهل بيته. ولن تسمع عن قصة سيدة اسمها «عافية» فقدت أبناءها الأربعة في مصير مجهول لتتعلق بحفيدتها المتبقية من أسرة قطّع النزاع أوصالها.

REUTERS

دعونا نتحدث أولًا عن قواعد الحرب

خلال الستة أشهر الماضية، أصدرنا في اللجنة الدولية للصليب الأحمر سبعة بيانات صحفية نناشد أطراف النزاع احترام قواعد الحرب، وفيها سلطنا الضوء على حقيقة الوضع الإنساني المأساوي على الأرض، ومنها استهداف العاملين الإنسانيين، كزميلنا حنّا لحود، 37 عامًا، الذ ي قُتل في نيسان/ أبريل الماضي في اليمن بعد أن أطلق مسلح مجهول النار عليه، بينما كان متجهًا في مهمة للجنة الدولية لزيارة أحد السجون. وقد لخص بيان أصدرته اللجنة الدولية في تشرين الثاني/ نوفمبر الماضي معضلة اليمن الحقيقية، فمع أن الوصول إلى حل سياسي في البلاد يُعد مطلبًا عاجلًا، لكن المعاناة القاسية ستستمر طالما تجاهلت الأطراف المتحاربة القانون الدولي الإنساني - أيْ قوانين الحرب التي تكفل الحماية للمدنيين. فللحرب قواعد ويجب على أطراف النزاع احترامها، حتى في غمرة أشرس المعارك ■

عشرون عامًا من الصحافة الإنسانية

الصفحة الأولى من العدد الأول، والغلاف الأخير لنفس العدد

في مثل هذا التوقيت منذ عشرين عامًا، صدر العدد الأول من مجلة «الإنساني»، حاملة هدف التوجه إلى «صناع القرار والمثقفين ودوائر الإعلام والمهتمين والضحايا، لفتح الحوار حول ضرورة إعمال القانون، وضرورة مساندة العمل الإنساني».

وخلال عقدين من الزمان، ظلت «الإنساني» مخلصة لرسالتها التي تطورت كي تكون شاهد عيان على الأزمات الإنسانية التي ضربت العالم العربي والعالم منذ نهاية تسعينيات القرن الماضي: في الحصار الاقتصادي الذي ضُرب على العراق، والنزاع المسلح الممتد في الأراضي الفلسطينية، والحرب على لبنان في العام 2006، وغيرها من صور الحرب التي ابتليت بها المنطقة والتي وصلت إلى ذروتها في النزاعات المسلحة للسنوات الأخيرة والتي هوت بالمنطقة إلى مستويات غير مسبوقة من المعاناة الإنسانية.

في الصفحات التالية، نعود بالذاكرة إلى الوراء لنتعرف إلى أهم المحطات في تاريخ هذه المجلة التي كانت رافدًا مهمًّا لتسليط الضوء على المدنيين في زمن الحرب ■

هوجنين | سيف | فريد | اللباد

مؤسسو المجلة

شاركت أربع شخصيات في إصدار مجلة «الإنساني»: **رولان هوجنين**، وهو الرئيس الأسبق للمركز الإقليمي للإعلام، مديرًا مسؤولًا عن المجلة، والأستاذ **محمد سيف** والأستاذة **عنايات فريد** مسؤولين عن التحرير، وأخيرًا وليس آخرًا، المرحوم **محيي الدين اللباد** الذي تولى مسؤولية الإشراف الفني وإخراج المجلة.

مجلة الإنساني: ثقافة قانون الحرب بنكهة عربية

زينب غصن*

عشرون عامًا مرت منذ انطلاقة «الإنساني» الأولى. عشرون عامًا جرى فيها ما جرى من أحداث، وتقلص العالم مع التطور التكنولوجي إلى قرية صغيرة، ليغدو اليوم منزلًا كبيرًا يسكنه أكثر من ستة مليارات من البشر. وخلال الأعوام العشرين استمرت مجلة «الإنساني» بالصدور برسالتها الأساسية الأولى: نشر ثقافة القانون الدولي الإنساني واحترامه لدى القارئ العربي، وإعطاء الضحايا صوتًا على متن صفحاتها، علّ قصصهم تصل إلى الفاعلين على الأرض والمسؤولين ممن في يدهم القرار.

وعلى مدى أكثر من عشر سنوات من عملي في اللجنة الدولية للصليب الأحمر كمسؤولة عن مشروع «الإنساني»، في إدارة تحريرها أولًا ثم في رئاسة التحرير، لعل أكثر لحظة ما تزال تؤثر فيَّ اليوم هي اللحظة التي أمسك فيها العدد الجديد من المجلة وقد خرج من المطبعة، لأتصفحه للمرة الأولى. فأنا من ذلك الجيل الوسطي الذي عمل في الصحافة، وكتب مقالاته على ورق أصفر خفيف قبل أن يبدأ بطباعتها على جهاز الكمبيوتر. جيل قرأ الجريدة المطبوعة، تصفحها وانتشى برؤية اسمه مكتوبًا تحت مقالة فيها، ثم شهد بأم العين كيف بدأت تكنولوجيا المعلومات والإنترنت يؤثران على آليات عمله، ويفتحان أمامه أبوابًا جديدة من الاتصال والإبداع لم تكن متوفرة قبلًا.

لذا أدعي أنني من جيل يعرف جيدًا فضل تكنولوجيا المعلوماتية والإنترنت لأنه عاش ردحًا من الحياة من دونها، وناقش حسناتها وسيئاتها وحاول استشراف ما هو مقبل عليه والتأقلم معه بكثير من الانفتاح. لذا فالحديث عن الاحتفال بالعيد العشرين لمجلة مطبوعة، في عصرنا الرقمي هذا، قد يبدو أمرًا غريبًا للبعض وخارج السياق الذي يطغى عليه المحتوى الإلكتروني، لا سيما أننا نسمع يوميًّا عن إقفال أو تعثر مؤسسات صحافية كبرى شكلت على مر عقود الرأي العام العربي. لكنه ليس كذلك. فالمجلة بما تقدمه، وبالفئات التي تصل إليها، ما تزال تحمل ميزات تفاضلية عن غيرها من المطبوعات حتى في عصرنا الإلكتروني.

رسالة المجلة

وإذ لا تدعي «الإنساني» ولم تدعِ يومًا أنها تشكل رأيًا عامًّا، إلا أنها المجلة العربية الوحيدة التي تُعنى بقضايا القانون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان –بمعناها الواسع– في مناطق النزاعات. وهي بحدود اختصاصها وتوزيعها تحاول –وما تزال– أن تنشر المعرفة حول القانون الدولي الإنساني ومبدأ حماية المدنيين في الحرب. باختصار هدفنا أن تصل رسالة «الإنساني» واللجنة الدولية للصليب الأحمر، لكل من تقع المجلة بين يديه، بأن المدنيين خط أحمر في أي نزاع، وأن لكل حرب حدودًا هي عدم إيذاء المدنيين وكل من لا يشارك في الأعمال العسكرية، حتى ولو كان السياق العام اليوم في كثير من النزاعات يستبيح لنفسه كل أشكال القتال وأصنافه، ضاربًا عرض الحائط بتلك الحدود التي وضعتها المواثيق الدولية، ومدعيًا زورًا أنها لا تنطبق على الصراعات التي يخوضها تحت مسميات كثيرة.

فهذه المجلة المطبوعة، التي بدأ إصدارها في العام 1998 للأهداف التي ذكرتها، تطورت بمحتواها شيئًا فشيئًا نحو الابتعاد عن المادة القانونية الجافة إلى التركيز على القصة الصحافية التي تناقش القضايا الإنسانية بمعناها الثقافي الواسع، وإن طُعمت بجانب قانوني لا بد منه. وقد فتحت المجال أمام الفئات المهمشة والضحايا، لرفع صوتهم من خلال صفحاتها ونقل الكلام عنهم من خانة الأرقام إلى خانة بشر من لحم ودم ومشاعر وأحلام، من خلال القصص الإنسانية التي تعتمد لغة صحافية تحاكي القارئ غير المتخصص إلى جانب المتخصصين، بأسلوب يحاول دائمًا أن يعتمد التوازن في التعاطي مع تلك القضايا.

كما أنها اعتمدت منذ البداية على الرسائل البصرية لتدعيم النص مع استيحاء الكثير

لا تدعي «الإنساني» ولم تدعِ يومًا أنها تشكل رأيًا عامًّا، إلا أنها المجلة العربية الوحيدة التي تُعنى بقضايا القانون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان -بمعناها الواسع- في مناطق النزاعات

* رئيسة تحرير مجلة «الإنساني»
blogs.icrc.org/alinsani

منها من الثقافة العربية عمومًا، حيث طُعمت المجلة برسوم وتصاميم لعديد من الفنانين على امتداد الوطن العربي. ولم يكن هذا الأمر اعتباطًا، وإنما إيمانًا من جميع من ساهموا وعملوا في المجلة منذ بدايتها، بضرورة أن يكون المحتوى الذي تقدمه نابعًا من الجذور الثقافية لقرائها ويعبر عنها. لذا فقد اجتذبت المجلة على مر السنوات كُتَّابًا عربًا مرموقين ساهموا في إغنائها بإبداعاتهم وآرائهم التي قد تختلف مع رأي اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وإن كانت لا تتناقض مع المبادئ الأساسية التي تقوم عليها اللجنة الدولية للصليب الأحمر والحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر، لا سيما مبدأي الإنسانية وعدم التحيز.

تحتفي «الإنساني» دائمًا بالأعمال الفارقة للفنانين من مختلف البلاد العربية

فئات مستهدفة

ومنذ عشرين عامًا وإلى اليوم، تُموَّل «الإنساني» بشكل كامل من اللجنة الدولية للصليب الأحمر وتُوزع مجانًا عن طريق بعثات اللجنة الدولية في المنطقة، على فئات واسعة من القراء، منها الصحافيون والأكاديميون والمسؤولون الحكوميون وجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر الوطنية، وخلال نشاطات البعثات المختلفة في الدول العربية وبعض الدول الأفريقية.

لكن تبقى فئة معينة تصلها المجلة نحرص دائمًا على وضعها في الحسبان، وهي فئة المحتجزين ممن تزورهم اللجنة الدولية في مراكز احتجاز عدة على امتداد المنطقة العربية، لا سيما في الدول التي تشهد نزاعات. فقد تكون «الإنساني» لهؤلاء في بعض الأحيان، المطبوعة الوحيدة التي تصلهم. وقد رأيت بنفسي محتجزين في أحد السجون في اليمن يجمعون أعداد المجلة بالقرب من فرشهم في مكتبة بدائية أنشأوها من المطبوعات التي تدخل إليهم. وخلال فترة ما بعد الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر كانت «الإنساني» واحدة من المطبوعات القليلة التي سمح بدخولها إلى معتقل غوانتانامو.

لذا، وبالرغم من التغيير الذي شهده العالم منذ عشرين عامًا وحتى اليوم إلا أن بعض الأمور لا تتغير بالنسبة للجنة الدولية كما بالنسبة للفئات المستضعفة التي تعمل معها. وما احتفالنا بالعيد العشرين للمجلة إلا تأكيدًا منا على أهمية الدور الذي تؤديه تجاه تلك الفئات.

ومع ذلك، نعي جيدًا الاختلاف الذي طرأ على القارئ بشكل عام وعلى آليات تقديم المحتوى اليوم في ظل النقلة التكنولوجية التي حدثت والتي جعلت الكثيرين يعزفون عن كل ما هو مطبوع وينهلون معلوماتهم من الشاشات. وإن كان ذلك يبدو تحديًا تواجهه المجلة المطبوعة إلا أنه يفتح أمامنا أبوابًا أوسع للوصول إلى فئات أكبر من القراء، وربما أجيال أكثر شبابًا ممن يعيشون اليوم ظروف نزاعات صعبة جدًّا في منطقتنا، ويعتمدون على التكنولوجيا النقالة في إيصال أصواتهم إلى العالم. وهو ما دفعنا قبل عام من اليوم إلى إطلاق مدونة الإنساني الإلكترونية★★ منطلقين من جذور ومبادئ المجلة نفسها نحو آفاق أكثر رحابة ■

عنايات فريد*

العودة بالذاكرة إلى عقدين مضيا:

محطات في سيرة مجلة

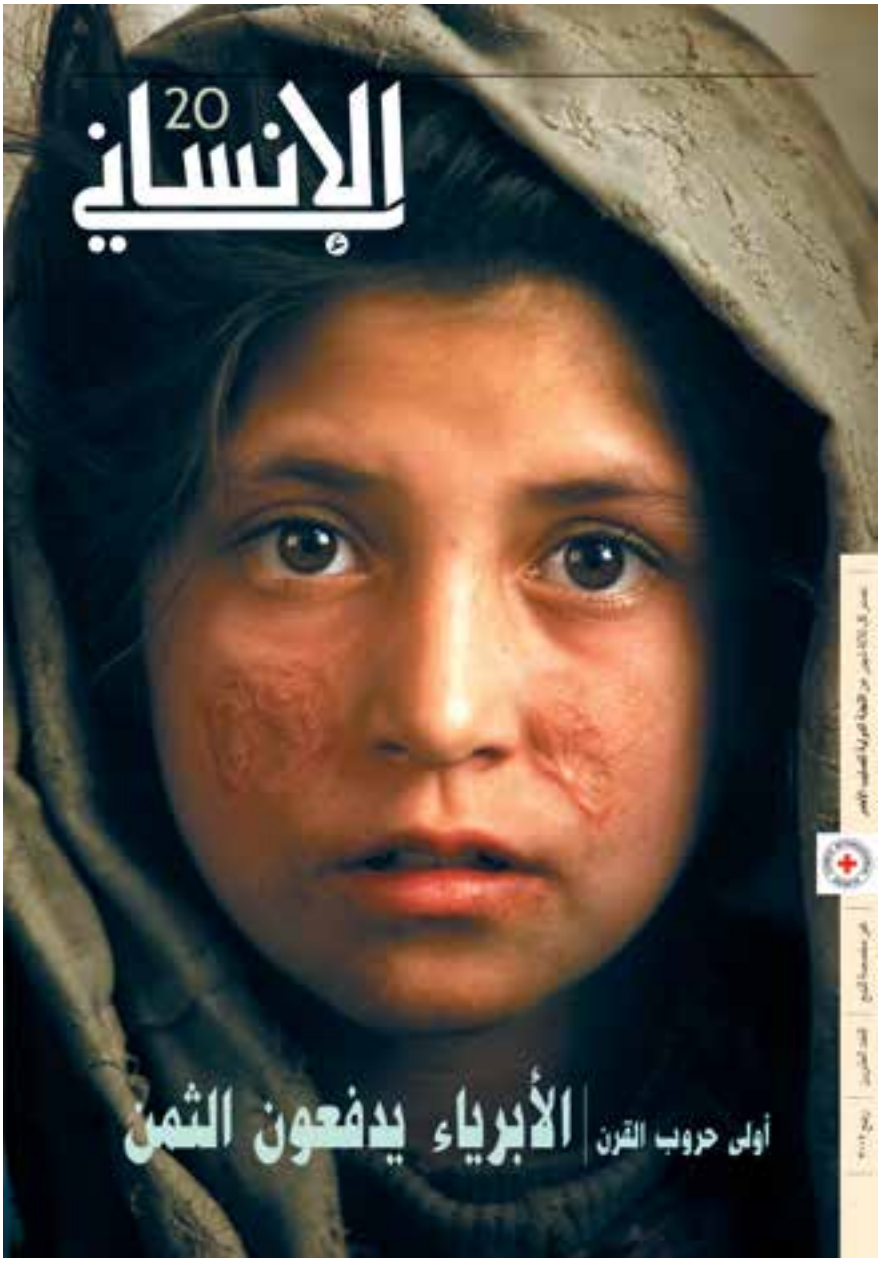

بين الحين والآخر نفتح قاموس الذكريات، فتهل علينا روائح الزمن الجميل. يتحدث إليَّ عبر التليفون أحد الزملاء بهيئة تحرير مجلة «الإنساني»، حاملًا دعوة كي أشارك معهم في عدد تذكاري للمجلة بمناسبة مرور عشرين عامًا على صدور عددها الأول في نهاية العام 1998. وتتدفق المشاهد أمام عينيك، فقد مرت السنون سريعًا منذ الالتحاق بالعمل ببعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالقاهرة في العام 1993، مسؤولة إعلامية لأحد المؤتمرات الدولية حول «ضحايا الحروب والنزاعات المسلحة». أطلقنا حملة إعلامية، فأنتجنا العديد من المطبوعات والأفلام القصيرة، وصنعنا شبكة من العلاقات مع الصحافيين ووكالات الأنباء. وتنجح الحملة وينجح المؤتمر في جذب الأنظار إلى أهمية احترام ضحايا الحروب والنزاعات المسلحة، خاصة من النساء والأطفال، وكذلك قوافل المساعدات الإنسانية. كل هذا في الوقت الذي اشتدت فيه النزاعات المسلحة في أفغانستان والبوسنة والهرسك والعراق والكويت وغيرها.

تحدي البداية

ويستمر العمل داخل بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في القاهرة إلى أن تقرر اللجنة الدولية في العام 1997 إنشاء «**المركز الإقليمي للإعلام**» **نواةً إعلامية** للنشر بجميع الوسائل المتاحة، مقروءة ومسموعة ومرئية. كما كان من مهام المركز الإشراف والاشتراك مع البعثات المختلفة بالمنطقة العربية في وضع استراتيجية

* كاتبة مصرية عملت لسنوات في «المركز الإقليمي للإعلام» (من 1993 حتى 2005). شاركت في العام 1998 في تأسيس مجلة «الإنساني».

تعكس مهام اللجنة الدولية وطبيعة عملها. ومن هنا جاءت الفكرة للسيد **رولان هوجونين**، أول مدير «**للمركز الإقليمي للإعلام**» في إصدار مجلة تضع نصب أعينها عرض رسالة اللجنة الدولية، كمنظمة حيادية تهتم بضحايا الحروب، إلى المثقفين والصحافيين وصناع القرار في العالم العربي.

حملنا الفكرة وذهبنا بها إلى «صانع الكتب» الفنان المبدع **محيي الدين اللباد** (1940–2010)، رحمه الله. كان للفنان اللبَّاد الفضل الكبير، فقد علمنا الكثير وبذل مجهودًا غير عادي لوضعنا على الطريق الصحيح. فلم يكن إصدار مجلة بالأمر السهل لجذب أكبر عدد من المثقفين وصناع القرار. أطلقنا على المجلة «**الإنساني**»، وصدر العدد الأول منها في القاهرة في كانون الأول/ ديسمبر 1998، بعد عدد من التجارب. خرجت المجلة بشكل جذاب، وقد أُرسلت إلى جميع بعثات اللجنة الدولية في المنطقة، كما أرسلناها إلى كُتَّاب الأعمدة في الصحف والمجلات، وإلى أساتذة الجامعات. لاقت المجلة الكثير من الاستحسان والتشجيع.

استمر إصدار «**الإنساني**» بشكل ربع سنوي، ومع كل عدد نسلط الضوء على مواضيع جديدة، فتناولنا مواضيع كالأطفال والحرب، والنساء في النزاعات المسلحة، والحروب وآثارها على المدنيين، وركزنا على الأنشطة التي تضطلع بها اللجنة الدولية في مناطق النزاعات المختلفة. وسعنا من دائرة التوزيع، كما شاركت بعثات اللجنة الدولية في المنطقة، في الأردن والكويت والأراضي الفلسطينية المحتلة والسودان وتونس واليمن والعراق وغيرها، في دعوة الكُتَّاب المرموقين في بلادهم للكتابة في المجلة. وأصبح لـ«**الإنساني**» فريق عمل من البعثات المختلفة، يعاونه ويشرف عليه فريق من «**المركز الإقليمي للإعلام**» بالقاهرة. تشكل هذا الفريق من **رولان هوجونين** رئيسًا، والأستاذ **محمد سيف** محررًا ثم مديرًا للتحرير، والدكتور **عامر الزمالي** مستشارًا قانونيًّا، والأستاذ **محيي الدين اللباد** مخرجًا فنيًّا، وكتابة هذه السطور. وكان يعاوننا أيضًا فريق عمل من المترجمين ساهم كثيرًا في إثراء المجلة بترجمة نصوص مهمة من الإنجليزية والفرنسية إلى العربية.

تطورت «**الإنساني**» وأصبح لها جمهور يسأل عنها إذا ما تأخرت في الصدور لظروف خاصة بالطباعة. ويحضرني هنا موقف مع المرحومة الدكتورة **نهاد صليحة**، أستاذة الأدب الإنجليزي في جامعة القاهرة، حين اتصلت بنا كي تقول إن «**الإنساني**» بما فيها من مواضيع تعكس ما يتعرض له النساء والأطفال خلال الحروب من عذاب، سواء فقد الزوج أو مصاعب إعالة الأسرة أو تعرض الأبناء للاعتقال، أو تعرض النساء أنفسهن للسبي أو التعذيب، تدمي القلوب وإنها تتألم كثيرًا. فكانت إجابتي أننا لا نقصد بإصدار هذه المجلة أن نسبب ألمًا لأحد، وإنما أن يستيقظ ضمير العالم لما تسببه الحروب والنزاعات من آلام، وينهض العالم لنشر السلام، أو على الأقل أن يُحترم القانون الدولي الإنساني والاتفاقيات الدولية كاتفاقيات جنيف للعام 1949، التي وقعت عليها حينئذ 189 دولة في العالم من أجل حماية ضحايا الحروب، وكانت هذه هي الرسالة التي حافظ على أدائها كلٌّ من ليلى برلمون وتمارا الرفاعي وهما من تولتا إدارة «**المركز الإقليمي للإعلام**» في فترة عملي في اللجنة الدولية.

مع كل عدد من «الإنساني» كنا نسلط الضوء على موضوع جديد، فتناولنا مواضيع كالأطفال والحرب، والنساء في النزاعات المسلحة، والحروب وآثارها على المدنيين

تحديات جديدة

من هنا يُطرح سؤال عن التحول الذي طرأ على تغطية الصراعات والنزاعات منذ صدور «**الإنساني**» في نهاية العام 1998. لقد تغير شكل الصراع من ناحيتين: الأولى: التطور الهائل في تكنولوجيا صناعة الأسلحة التي أصبحت أشد فتكًا ودمارًا، والثانية: أنها أصبحت حروبًا عرقية ومذهبية وأهلية علاوة على الهجمات الإرهابية. هذا يعني أن هناك صعوبة بالغة في دخول المنظمات الإنسانية لتقديم المساعدات الإغاثية للملايين السكان المدنيين، كما أصبحت أرواح العاملين في تلك المنظمات معرضة للخطر، وأمثلة ذلك نجدها صريحة وواضحة في سورية واليمن والعراق وليبيا والأراضي الفلسطينية المحتلة، حيث فقد كثير من العاملين بالمنظمات الإنسانية أرواحهم خلال محاولتهم إنقاذ المتضررين، وعليه فإن التغطية الإعلامية الحيَّة التي كنا نجريها بات من الصعب تحقيقها في تلك الظروف بعد أن أصبح الصراع أكثر حدةً وعنفًا.

لقد أصبح لزامًا علينا أن نطور أدواتنا للتعامل مع الشكل الجديد للصراعات والتطور الهائل في تكنولوجيا وسائل الاتصال، ما حوَّل العالم إلى قرية صغيرة تستطيع أن تجوب أنحاءها جميعًا بضغطة زر. فهل سنستغني عن الإعلام المقروء، ونستغني عن قراءة الصحف والمجلات المختلفة بعد أن انخفض توزيعها بشكل كبير لمصلحة الإعلام الإلكتروني ووسائل التواصل الاجتماعي (فيسبوك وتويتر وانستغرام) لما لها من انتشار واسع بين الشباب.

على المستوى الشخصي لا أعتقد ذلك. ستظل الصحافة المقروءة وسيلة من وسائل الاتصال بالرغم من سرعة الإنترنت في نقل الأحداث التي تدور في العالم لحظة بلحظة. ستظل تغطية المنظمات الإنسانية الحيادية والصادقة وقدرتها على الوصول إلى الضحايا بحكم اتفاقيات جنيف أمرًا مهمًّا بالنسبة للمهتمين بالشأن السياسي ولتوجيه أنظار العالم إلى ما يدور من انتهاك للقوانين الإنسانية.

في النهاية ستظل مجلة «**الإنساني**» مصدرًا مهمًّا لنقل المعلومات من داخل مناطق الصراع وخاصة بعد التطور الذي طرأ عليها من حيث الشكل والمضمون. اطلعت على الأعداد الأخيرة من المجلة، وأرى أن هناك تطورًا ملحوظًا من حيث تنوع المواضيع وطريقة التناول واتساع التغطية، ليس فقط من حيث توجيه أنظار العالم لمعاناة الضحايا والتهجير القسري والأوبئة، وإنما أيضًا في كيف أصبحت الحروب مادة تتعامل معها السينما العربية والعالمية كوسيلة من وسائل رفع الوعي بمعاناة السكان المدنيين. إن تنوع الكُتَّاب بالمجلة يكسبها جمهورًا جديدًا، فضلًا عن التصميم والإخراج الشائق. يبقى أخيرًا أن نوضح أن إطلاق مدونة «**الإنساني**» الإلكترونية إلى جانب المجلة المطبوعة حدث يستحق التهنئة، إذ إنه سيوسع من دائرة القراء لتشمل جمهورًا أكبر من الشباب ■

عن الميزان الحاكم:

صوت مسؤول.. ونبرة أمينة

دائمًا ما تستطيع عبر انتخاب أعداد من «الإنساني» تكوين مجموعات متعددة متناغمة، تشير لشخصية وتوجه هذه المطبوعة، التي توخت طوال عقديها وحتى الآن تقديم انحياز تام لمعنى المسؤولية الإنسانية، مؤمنة بتكامل كل القضايا البشرية، خاصة تلك المرتبط منها بالمعاناة. هنا تجدون مختصرات لأعداد تقدم للقارئ صورة واضحة عن روح المطبوعة ورؤيتها الشاملة.

العدد رقم **01**

في كانون الأول/ ديسمبر 1998، صدر العدد الأول من «**الإنساني**» في 20 صفحة. حمل الغلاف عنوانين: عنوانًا يشير إلى مقال موسع لرئيس اللجنة الدولية آنذاك **كورنيليو سوماروغا** (Cornelio Sommaruga). أما العنوان الثاني فقد كان مقالًا تحليليًا لمحرر المجلة محمد سيف عن مشروع استطلاع كبير للجنة الدولية لسماع صوت ضحايا الحروب أنفسهم.

العدد رقم **02**

كان من الطبيعي أن يكون العراق محور العدد الثاني من «**الإنساني**» نظرًا للأزمة الإنسانية المتفاقمة في بلاد الرافدين بفعل الحظر الاقتصادي المفروض على البلاد. وقد كانت المجلة «مع العراقيين في محنتهم» طيلة السنوات اللاحقة، لا سيما فترة الغزو الأميركي وما تلاه من أحداث مأساوية.

العدد رقم **04**

منذ الأعداد الأولى كان واضحًا أن اهتمام المجلة يتعدى المنطقة العربية ليصل إلى تغطية الأزمات الإنسانية في العالم ككل. فكانت «**الإنساني**» حاضرة في تغطية أزمة البلقان وكذلك الحرب في أفغانستان والقرن الأفريقي.

العددان رقما **29/30**

مع أن «**الإنساني**» رصدت بقلق بالغ تحديات الأزمة الإنسانية في إقليم دارفور بالسودان، لكنها رأت أن البلاد، بنهاية الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب، تستقبل عصرًا جديدًا مفعمًا بالأمل والعمل على تأسيس دولة سودانية حديثة لكل أبنائها.

العدد رقم **06**

في العدد السادس أجرينا حوارًا مع الفنانة اللبنانية فيروز خلال مشاركتها في نداء عالمي في العام 1999 ضد الحرب برعاية اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

العدد رقم **11**

أفردت «**الإنساني**» صفحاتها مرارًا للبنان، سواء بعد انسحاب إسرائيل من الجنوب اللبناني، أو في تغطية الأزمة الإنسانية لحرب تموز/ يوليو 2006. علاوة على ذلك، نشرت المجلة العديد من المقالات والتحليلات التي تستدعي خبرة الحرب الأهلية التي دارت رحاها في البلاد ما بين 1975 و1990.

العدد رقم **13**

لدى «**الإنساني**» اهتمام راسخ بالأوضاع الإنسانية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وتشير أي قراءة انطباعية للمواضيع التي نشرتها المجلة خلال عشرين عامًا حول فلسطين عن حجم الآثار الوخيمة للنزاع المسلح الممتد على الفلسطينيين. ومع هذا، فقد نشرنا أيضًا مقالات وعرضنا تقارير عن مقاومة الفلسطينيين وكيف أن الحرب لم تثبط عزيمتهم قط.

العدد رقم **27**

في العام 2004، خاضت «**الإنساني**» مغامرة صحافية إذ ذهبت إلى إيران بهدف إصدار عدد خاص تعرض من خلاله التمايز الثقافي والتاريخي والإنساني لهذا البلد العريق. جاء هذا العدد في سياق الدور المتزايد الذي لعبته اللجنة الدولية في إغاثة منكوبي زلزال مدينة بَم المدمر في نهاية العام 2003.

العدد رقم **52**

الدور المتغير للإعلام في حياتنا المعاصرة، وفي تغطية النزاعات، جعلنا نُفرد أعدادًا كاملة لقراءة التحولات العميقة لمشهد الإعلام عالميًا وإقليميًا.

العدد رقم **18**

لم تركز «**الإنساني**» على السياقات التي تدور فيها النزاعات المسلحة فحسب، لكنها ركزت أيضًا على مختلف القضايا التي تمس الحروب والعمل الإنساني. فتحدثنا عن النزاعات المسلحة والبيئة والنساء والهجرة. وفي كل هذه المواضيع، لم نكتف برصد طبيعة المشكلات فقط، وإنما عرضنا نماذج للتعامل الإنساني الخلاق مع ما تفرزه الحروب من أزمات.

04

02

01

13

11

06

27

30

29

18

52

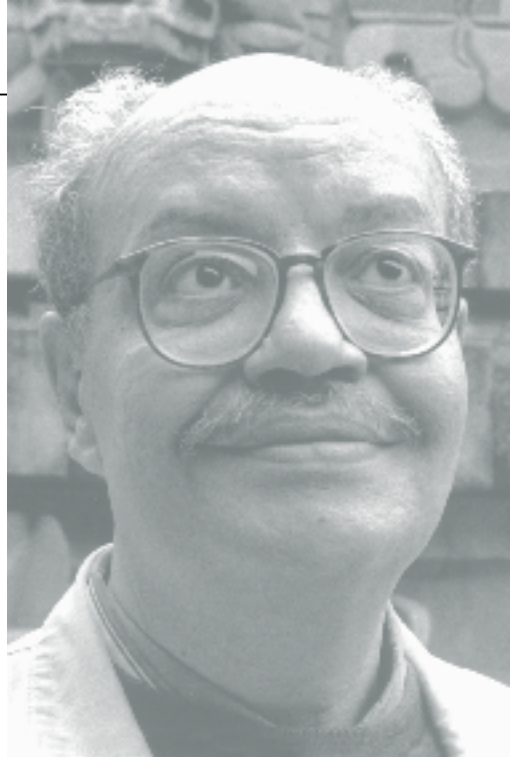

محيي الدين اللباد:

«الإنساني» كورشة دورية لتصميم النور

أحمد اللباد*

عندما بدأت الاجتماعات الأولى، التي ستنتهي ببلورة صيغة مجلة «الإنساني» النهائية، منطلقة بها في شتاء 1998، شملت الفنان الكبير الراحل محيي الدين اللباد (1940– 2010) حماسة خاصة، يعرفها عنه كل القريبين، عندما يشتبك مع أحد المشاريع التي تتوافق مقاصدها مع انحيازه الأخلاقي، ومع تكوينه الشخصي والسياسي الإنساني: اشتعال ذهني مستمر حول الخريطة الكلية للمشروع، وامتلاء بإثارة عاطفية خاصة، واستغراق عميق في البحث والتنقيب، واستدعاء للأفكار، المجمل منها والتفصيلي، وعصفها، وطرح الأسئلة الكاشفة، بل تصميم واختراع تلك الأسئلة، للوصول للصورة الأقرب لعمق الهدف والمعنى لهذا المشروع، وكيفية تحقيق الغرض منه، ثم تطور عملي، وتعيين قوائم منوعة تتجدد وتنقَّح، يُذكِّر فيها نفسه ويقترح أعمالًا فنية وتسجيلية مباشرة، أو إبداعية لرسامين أو مصورين فارقي الإنتاج يمكن الاستعانة بها في المشروع، وأخرى تحوي عناوين وهواتف لمصادر بصرية، وفوتوغرافية، أو بيانية، مصورة تراثية، ومعاصرة. هذا غير السعي التقني الدؤوب للوصول لآخر تطبيقات التنفيذ من برامج الكمبيوتر، ومن أحدث أجهزته، لضمان الحصول على الأرفع. وما كان يثير الإعجاب فعلًا هو متابعة القدرة الاستثنائية التي كانت تتجلى في إطلاقه وتسييره لكل طرق العمل تلك في خطوط متوازية بإنجاز زمني صارم.

عمل اللباد بمحبة وبإيمان على «الإنساني»، وضخ فيها من روح خبرته التي اكتسبها رسمًا وتصميمًا عبر مشوار كان وقتها يزيد على الأربعين عامًا في مسارات الصحافة والجرافيك المطبوع؛ فقدم في البداية للمطبوعة تصميمًا فنيًّا أساسيًّا يعتبر– بشكل مهني مجرد– نموذجًا بحق لمعنى الجمال والنجاح، لأنه حرص أن لا يأتي من منطقة الشكلانية الاستعراضية، بل من منطق التحقق الوظيفي الذي يكتمل فيه التصميم البصري بمادته الصحفية، وبطعم حداثي طازج، تعبِّر فيه الحرية والرشاقة عن محتوى رصين ونوعي، وحرص فيه على تحقق التصنيف الدقيق للأبواب، ولأنواع المادة المختلفة المقدمة، وبإرسال مضبوط تمامًا على موجة القارئ العربي ومراجعه الثقافية والبصرية، التي طالما آمن هو بقدراتها، ونديتها، وسلامة قنواتها، وقوة خصوصيتها في التعبير والاتصال.

صدرت الأعداد المتوالية بتصميمه وتحت إشرافه الفني، وبمادة شيقة غير معتادة، وتستقبل بتشجيع كريم متصاعد من متلقيها، وتستقر «الإنساني» سريعًا في موقعها الخاص المرموق، مما دفع الإدارة منذ العدد رقم 20 (راجع صورة غلافه في صفحة 12 من هذا العدد) لمضاعفة عدد صفحاتها، وفي شكل طباعي أعقد، وهي –بالمناسبة– الصيغة التي ما زالت تصدر بها المجلة وحتى الآن، لتتيح الفرصة لتواصل أغزر مع متابعيها المتزايدين.

في كل عدد يكون تطبيق الدرس الشيق، عن كيفية استخدام كل الأدوات المتاحة، من أعمدة نصية وعناوين، ورسوم، وصور، وحتى مساحات فارغة أو لونية لخلق وجبة جديدة ذات طعم بصري مختلف، متيحة للقارئ رحلة شيقة وممتعة فوق صفحاتها، مثيرة لخياله ولفضوله للقراءة، في إطار قانون أو شخصية أساسية حاكمة للتصميم، وبإيقاع كان تضافر نبرة التحريري فيه مع البصري فريدًا يخص ويميز «الإنساني» بالتحديد.

لذلك كان خروج كل عدد من «الإنساني» للنور ورشة مثالية لكل مهتم ناله حسن الحظ بحضور ملابسات تخلُّقها، ليتعرَّف على قدر هذا الجهد التحريري ومعه الفني في توخي الدقة والإتقان، التي تخرج من خلالهما، والتى توارثتها وبنت عليها الفرق المسؤولة التالية عن المجلة، واعتبرتها بديهية راسخة ضابطة، تحريرًا وتصميمًا.

حكى له هشام حسن رئيس المركز الإقليمي للإعلام سابقًا، عن حادثة شديدة الدلالة؛ كان حسن فيها ضيفًا على برنامج حواري في قناة عربية شهيرة، وفي فترة خارج التصوير اقترب منه واحد من أفراد الطاقم الفني لتلك القناة، ورجاه أن يطلع على نسخ أعداد المجلة التي لاحظها برفقته ساعتها، ثم تصفحها بامتنان وحرارة واضحين، وهو يخبره بتأثر بالغ بأن تلك المجلة كانت نسخ أعدادها المتاحة هي صلته وصلة زملائه المحبوسين الوحيدة بالعالم في فترة سابقة كان فيها معتقلًا –حسبما أبلغه– لمدة طويلة في السجن ببلده العراق، أثناء واحدة من فترات القلاقل التى مر بها البلد المنكوب، ولم يكن غير «الإنساني» من المصادر الخارجية ما هو مسموح لها بالدخول للمعتقلين. وحدثه عن حجم صداها عندهم، ومدى ارتباطهم بها. كان ذلك المشهد القصير واحدة من الإشارات التي ظلت تؤكد –هي وغيرها– له ولكل الزملاء المسؤولين عن المطبوعة أحقية كل الجهد و«الوسوسة» في معايير إنتاجها، للحفاظ دائمًا على خروجها في إطار مهني ومعرفي رفيع. وتشي لهم بأن المجلة وإلى جانب رسالتها الكبيرة الحريصة فيها على التعريف بالعمل الإنساني ودوره، قد تكون هي نفسها عمليًّا نموذجًا متحققًا لمعنى هذا العمل الإنساني بالفعل ■

محيي الدين اللباد راسمًا نفسه في تسعينيات القرن الماضي

* رسام وجرافيكي مصري والمشرف الفني على المجلة

الملفّ...

حروب الصحافيين الخاصة

ليس للحرب وجه مشرق، لكنها في المقابل، تمنحنا فرصة لنتعرف فيها إلى أنفسنا، وإلى ما فعلته بنا وببلداننا. هنا يظهر الصحافيون، بما يحوزونه من أدوات للتواصل الإعلامي، بوصفهم من يوثّق وقائع العنف الدائر حولنا. أنتجت حروب المنطقة المستعرة منذ سنوات، جيلًا متمرسًا من مراسلي الحروب. ورأينا كيف ذهب المواطن العربي، وأحيانًا الغربي، كي يتابع صحافيين عربًا وهم يسجلون ما تفعله الحرب من تدمير. صارت لدينا تغطيات عربية تستحق القراءة والمشاهدة. ومع هذا فقد أفرزت هذه التغطيات تحديات جمَّة، أو بالأحرى أججت حربًا خاصَّة خاض غمارها كل صحافي يبحث عن الحياد والنزاهة والوقوف مسافة واحدة من جميع الأطراف، صحافي يخاطر بحياته من أجل إطلاع الناس على حقيقة ما يجري. في هذا الملف نعرض خبرات وتصورات صحافيين وكُتَّاب عن الحرب وتغطيتها.

* عنوان الملف مستلهم من فيلم يسرد حياة الصحافية الأميركية ماري كولفين (انظر صفحة 38).

لنا شاهين*

العمل الصحافي في غزة .. بطاقة سفر في اتجاه واحد

متاعب ومعاناة ومجازفة بالروح

لنا شاهين بعدسة عطية درويش

لم يدُر في خَلدي وأنا أميل برأسي إلى الخلف، ليلقي بثقله على حافة المقعد، فيريح عنقي من عناء حمله طوال الوقت، ويرتاح هو من مذلة التبعية المطلقة له، واعتماده الكامل عليه في كل حركة أو سكنة، أن شعوري بالراحة والاسترخاء، في أول يوم لي كصحافية، لم يكن سوى ردة فعل عفوية لخروجي من عنق زجاجة عذابات ما بعد التخرج، بكل ما يطغى عليها من آلام وآمال مشقة البحث عن عمل، والتي تكللت بالنجاح في نهاية المطاف، وذابت مرارتها في حلاوة اللحاق بركب الموظفين في الأرض، لكنني لم أكن أدرك بعد أنني قد وضعت قدمي على أول طريق اللا عودة، وأنني استلمت بطاقة سفر في اتجاه واحد، الذهاب فقط، إلى كوكب المتاعب والمخاطر، وكل أنواع القلق والمعاناة إلى حد المجازفة بالروح في نقطة ملتهبة جدًّا وباستمرار اسمها قطاع غزة، كوكب تحكمه صاحبة الجلالة، الصحافة، وتميزه عن غيره من ممالكها الممتدة في كل أصقاع الأرض برفع سقف المخاطرة فيه من مجرد المتاعب إلى حد الموت.

صوت الفلسطيني المذبوح

هل تختلف المرأة عن الرجل جسمانيًّا وبيولوجيًّا؟ هناك من ينسب للمرأة صفات نفسية لا أراها صادقة ودقيقة في معظمها، كرقة الحاشية، وشدة الخوف والقلق، وتحكيم القلب فيما ينبغي أن يقتصر على العقل، وغير ذلك مما يجعل المرأة في موازين المجتمع ضعيفة مترددة وغير قادرة على مواجهة المواقف التي تتطلب شجاعة وإقدامًا ومواجهة صلبة للمتاعب والأخطار. لكن في اعتقادي فإن بعض ما يقال عن جوانب الاختلاف بين المرأة والرجل هو أمر لا يمكن دحضه أو إنكاره، والبعض الآخر لا يعدو كونه إشاعات وافتراءات، أو لنكن أكثر موضوعية ونقول إنه مجرد افتراضات جانبت الصواب بسحبها لنهج البعض على الكل. أنا امرأة وزوجة وأم، وعلى مدار اثنين وعشرين عامًا من العمل في مهنة المتاعب، لم أختلف في عطائي المهني عن الرجل بسبب خوف من مواجهة الخطر أو رهبة من الموت، رغم أنني كنت في قرارة نفسي غارقة في لجة الخوف، لكنني كتمت شعوري المرير هذا بتغليب ضرورات تسليط الضوء على الانتهاكات، وإعلاء صوت الفلسطيني المقهور المذبوح، ليس فقط لأنني صحافية ومهمتي هي نقل الحقيقة للعالم، بل القضية أعمق وتتجاوز حدود المهنة، كوني في البداية والنهاية فلسطينية ابنة هذا الوطن. ما يضع على كاهلي مهام إضافية، ليس كأي صحافي يغطي منطقة ساخنة كقطاع غزة. فعندما يُراق الدم الفلسطيني على جوانب كلماتي، وتزكم رائحة الموت في جنبات غزة أنوف من يشاهدني، ومن يسمعني خلف المدى، وعندما تظهر آثار الحرب والحصار على قسمات وجهي؛ فتترقرق دموع غزة في عيوني، فأبكي ويبكي معي من يشاهدني، أكون قد أوصلت إلى حد كبير رسالة المحاصرين المعذبين، وما عساي أفعل وأنا لا أملك إلا الكلمة والصورة والعزيمة والإرادة.

لم يكن يمر يوم أو يكاد خلال العمليات العسكرية الإسرائيلية في قطاع غزة، دون أن تترك الحرب بوحشيتها ولا إنسانيتها بصماتها القاتلة للروح، والمدمرة للنفس في وجداني، فكل

* صحافية فلسطينية شاركت في تغطية النزاعات المسلحة في قطاع غزة، خاصة النزاع الدامي الذي تفجر في صيف العام 2014

EPA

الصحافة عمل إنساني على كل المستويات، وفي مكان على صفيح ساخن كقطاع غزة، لا يمكن للصحافي أن يفصل بين عمله وإنسانيته

مرة كانت مختلفة في آثارها الساحقة الماحقة، حتى لصلابة المراسل الإخباري المعتاد على تغطية الحروب. ذات مرة كنت في مستشفى الشفاء أغطي الأحداث، فإذا بأم تهرع باحثة عن فلذة كبدها، وتحسبه جريحًا، وبعد أن ساعدتها في العثور عليه، وجدناه قد ارتقى لبارئه. بقيت هذه الأم المكلومة تمسك بيدي، وكان لا بد من الخروج في رسالة مباشرة، وبعد شد وجذب بيني وبينها، انتزعت يدي منها، فرمقتني بنظرة لم أتمالك نفسي حينها، وبكيت على الهواء مباشرة، وتمزقت روحي بين تلبية نداء الإنسان ونداء العمل. بعيدها وخلال هدنة بين الفصائل الفلسطينية وجيش الاحتلال، كنت أعد تقريرًا، فإذا برجل طاعن في السن، يوبخني ويلومني، لماذا بكيت وأبكيت من أبكيت.

«**ليش تبكي**» ألقاها في وجهي، والغضب يتملكه، وحينها أردف قائلًا: كنت أخفف من وطأة الحرب على عائلتي، وأقول لهم: «لنا شاهين تصول وتجول في الميادين فلا تخافوا وأنتم في المنزل».

استوقفتني كلمات الشيخ العجوز طويلًا، وأدركت كم أن الصحافي يمكن أن يلعب دورًا في تقديم الدعم النفسي لمن لا حول له ولا قوة. وعادت بي الذاكرة إلى طفل كنت قد أعددت عنه تقريرًا، وهو مريض بحاجة إلى الدواء، فوصل صوته من خلال كلماتي إلى مؤسسة أجنبية، تكفلت بعلاجه إلى أن أتم الله عليه الشفاء. لم ولن أنسى تلك الضحكة المزروعة على شفاهه ما حييت.

الصحافة الإنسانية

صوت الصحافي يصل إلى من يريد أن يهمه الأمر، إن أراد أن يسمع. عندما كنت في هافانا، هناك في غرفة صغيرة مظلمة، بكت نساء كوبا مأساة غزة، وترقرق الدمع في عيني من فرط إحساسي بالتأثر والتأثير، جاشت به نفسي والمرأة الكوبية تخرج من غرفة غزة في جناح القناة التي أعمل بها في مهرجان هافانا، فتضمني إلى صدرها بحنو أم أو أخت تشاطرني الأحزان بفاجعة الإنسانية، تبعثرت أشلاؤها على مذبح الحرب، والرجل الكوبي يشد على يدي بقوة وعزم من يسدد قبضته في وجه المعتدي، مؤازرة لشعب أبى الضيم والتفريط بحق هو الحق عينه إذا حصحص.

الصحافة عمل إنساني على كل المستويات، وفي مكان على صفيح ساخن كقطاع غزة، لا يمكن للصحافي أن يفصل بين عمله وإنسانيته. تدق طبول الحرب، فيرقص على وقعها قلبي، ليس فرحًا بالطبع، فالطير يرقص مذبوحًا من الألم، ما رأيته أمام عيني هو حرب، هل أقول إنها لم تقم وزنًا لخطوط حمراء، ولم تعترف بممنوعات إنسانية أو محظورات على خلفية عمر أو جنس أو حالة مدنية لا علاقة لها من قريب أو بعيد بالقتال؟ هذا الشيوع في الاستهداف، والوقوع في بؤرة الخطر، يجعل كل الغزاويين سواسية أمامها، إلا أن الصحافي سرعان ما يجد نفسه خارج السرب، فما إن يشتعل أوار الحرب، حتى يجد نفسه مندفعًا في الاتجاه المعاكس، نحو دائرة الحدث بكل مخاطرها المميتة. فعلى مدار ردح طويل من الزمن، وأنا أمتهن الصحافة، فإنه حسب اعتقادي، لا يوجد أي تناقض ما بين العمل المهني والعمل الإعلامي الإنساني، بل على العكس هناك تكامل واضح، ولولا صوت الصحافي لما وصلت معاناة ابن غزة المحاصر، إن كان خلال أي عملية عسكرية أو مؤخرًا في مسيرات العودة وكسر الحصار، فلقد حركت الصور والكلمات مجتمعًا دوليًّا كان صامتًا صمت القبور. آخر الكلام وفصل الخطاب هو أن الصحافة والإنسانية خطان متوازيان ودون خطوط العالم كلها دائمًا وأبدًا يلتقيان ■

مهمة وسط النيران

ICRC

ICRC

* صحافية مصرية

كنت أسير وحيدة مع الكاميرا، بانتظار اقتناص لحظة اشتباك أو انتصار لتوثيقها، ولم يكن هناك أعلى من صوت المعركة الدائرة في ذلك الصباح، بينما كان الموصليون يتولون إلى الظل في يوم مشمس جدًّا، كنت أتركهم خلفي متجهة بعربة مصفحة نحو مدينتهم القديمة، حيث دارت رحى الحرب في آخر معاقل جماعة «**الدولة الإسلامية**» فيها.

في **الموصل**، لا ترى أحدًا لا تبدو عليه علامات الحرب، علامات الأسى والمعاناة، جدران البيوت، والمحال التجارية، وحتى نهر دجلة لم يسلم من أدخنة المتفجرات، والجثث الطافية، امتد الدمار إلى باطن الأرض أيضًا كما فوقها.

كمراسلة حرب، لم أعتد ترك فرصة ليتسلل عبرها اليأس والخوف إلى نفسي، لكنها كانت أكبر تحدياتي في الموصل، جميع من حولي يروي قصصًا مؤلمة، لا بل يرسم أمامك لوحة من خليط الألم المحفور في الذاكرة، والخوف من تكرار مأساة خسارته لأحد أحبائه.

كنا قد وصلنا إلى أواخر أيام الحرب في **الموصل** في تموز/ يوليو من العام 2017، وكانت المدينة القديمة بانتظار إعلان سيطرة القوات العراقية عليها، إلا أن الأوضاع لم تكن آمنة بالمرة، فوق الأرض كان الجنود يحتفلون بنصرهم، بينما كانت الخنادق والسراديب الممتدة تحت الأرض تخفي شبح الموت الذي يمكن أن يظهر في أي لحظة لاختطاف الأرواح.

بعد إعلان سيطرة الجيش العراقي على **الموصل** في العاشر من تموز/ يوليو 2017، كنت في جولة ميدانية لتفقد أوضاع الجنود، ومراقبة عمليات نزع الألغام، وتفكيك العبوات الناسفة، تمهيدًا لإعادة النازحين إلى ديارهم، اتخذت كافة احتياطات الأمان، وكنت في كل صباح قبيل بدء العمل مبكرًا أستذكر بنود وإجراءات تأميني، وخطة التقدم نحو

سارة نور الدين*

مناطق الاشتباك، أرتدي خوذتي ودرعي الواقية من الرصاص، وأسير على جانب الطريق خلف خطوات الجنود.

وفي الثالث والعشرين من تموز/ يوليو، كنت في قلب المدينة، وكنت أودع ثلاثة أسابيع متواصلة من العمل الميداني للعودة إلى بلادي، وفي الطريق إلى **حي الميدان**، أخطر أحياء الموصل القديمة، هز انفجار كبير كالزلزال منطقة أمامي مباشرة، سارعت إلى التوقف ومراقبة الأمور، بينما هاج الجنود أمامنا وجاءوا من كل حدب وصوب، ليخرج علينا عدد من فرقة جهاز مكافحة الإرهاب حاملين جثث اثنين من زملائهم، اللذين قضيا إثر فشل تفكيك أحد الألغام في المنطقة.

لم يكن سير المراسل الحربي بخطوات متماسكة في منطقة النزاع أمرًا سهلًا، كان يدور في عقلي دائمًا قصص من قضى من الزملاء مسبقًا، كنت أستحضر أخطاءهم كي لا ألحق بهم، لكن ذلك لم يشفع لي عندما تقدمت بخطوات هادئة جدًّا نحو حافة سطح أحد المباني للتصوير في حي الميدان، توخيت الحذر كما تعلمت ومارست، لكن المفاجأة في الأعلى كانت قوية.

صعدت سلم المبنى، وألقيت نظرة متفحصة في الجوار وفي أروقته، لكنني فوجئت في السطح بفتحة غريبة، كان لزامًا عليّ قبل المرور من أمامها أن أتأكد مما هي عليه ولماذا حفرت في الجدار، لم أكن أتوقع أن أنظر خلالها لأجد أمام عيني مباشرة عنق بندقية آلية وعيني قناص، لو مر الدهر لن أنسى أبدًا نظرته المرعبة، ولا تردده في إطلاق النار لوهلة، تلك الوهلة التي سنحت لي بالتراجع قبل أن تبتلع جسم الجندي الذي معي طلقات الرصاص بعدها.

استنشقت دخان البارود لدرجة كادت أن تفقدني الوعي، إلا

ICRC

... فوجئت بفتحة في الجدار، لم أكن أتوقع أن أنظر خلالها لأجد أمام عيني مباشرة عنق بندقية آلية وعيني قناص، لو مر الدهر لن أنسى أبدًا نظرته المرعبة

أن تفكير الصحافي وقتها كان لا بد أن يكون تشغيل الكاميرا لالتقاط لحظات تبدو أنها الأخيرة في حياته، قررت قبلها أن أبتعد قليلًا لألقي بجسدي عبر بوابة غرفة مجاورة، منخفضة عن السطح بنحو متر ونصف المتر، ما إن وصلت إلى أرضيتها حتى أطلقت العنان للكاميرا لتصور ما يحدث، وفي ذات اللحظة كانت الدماء تتناثر حولي وقد اعتقدت أن القناص أتى ورائي ليقضي عليّ.

كان ذلك هو الجندي، الذي أصيب في أنحاء متفرقة من جسده، لكنه لم يصب في رأسه أو قلبه وكان ذلك هو المهم، فلطالما تذكرت توصيات مدربيَّ، فإذا لم يصب الجريح في ميدان الحرب أو النزاع بإصابات قاتلة وجب تقديم المساعدة الطبية له، وهو ما كان يدور في ذهني وقتها، يجب إيصال هذا الجريح لمنطقة آمنة، فلن يتحمل أحد في مثل موقفي أن يترك جريحًا وراءه ويهرب، وهو ما حدث.

من بين أكثر التحديات التي تقف أمامنا كمراسلي حروب، هو إنقاذ الجرحى، فالمراسل ليس مسؤولًا عن نفسه وحسب، بل هو جزء من بيئة خطيرة تلقى تدريبات مكثفة لمواجهتها، على رأسها تقديم الإسعافات الأولية والخدمة الطبية للجرحى.

لم تكن هذه المرة الأولى التي أواجه فيها هذا الموقف برمته، لكنها كانت الأشد والأخطر، ذات مرة تعرض زميل للإصابة التي كادت تعيق حركته تمامًا وقتما كنا في شمال سوريا مع بدء الحرب هناك، وكنا نحاول الهرب من مواقع القصف الجوي والمدفعي، إلى إحدى المناطق الآمنة في الريف، ومن ثم إلى الحدود التركية.

تذكرت وقتها الموقف في سوريا سريعًا وكيف نجونا، لأعود إلى الواقع في الموصل، وأقرر تقديم الدعم للجندي لنتمكن من الهروب معًا والاختباء، وبالفعل، كان الجندي حمولًا وشجاعًا، فعلى الرغم من الرصاصات التي اخترقت خاصرته، وساقه، ويده، إلا أنه وصل معي للاختباء في ساحة قريبة مليئة بسيارات متفحمة، وجثث متناثرة في كل مكان، بينما كانت تتعالى أصوات الطلقات من حولنا.

لحسن الحظ كنت أحتفظ بشريحتي اتصالات، إحداهما لم تكن تعمل في المنطقة، بينما الأخرى لا بأس بتغطيتها، أجريت اتصالات بالقوات القريبة من المكان، وسط دمار كبير في المنطقة فشلت في تحديد موقعي، فلا معالم واضحة حولي سوى هذه السيارات والجثث المتناثرة، وكان ذلك درسًا لا يمكنني نسيانه، فالاحتفاظ بأكثر من هاتف خليوي غير ذكي، وآخر متصل بالإنترنت وقت الأزمات فقط، بالإضافة إلى إمكانية تحديد الموقع، كان أحد أهم أسباب نجاتنا.

وعلى الرغم من خطورة الاتصال بالإنترنت ●●●

وسط النزاعات، لإمكانية تحديد موقع المستخدمين من قبل أحد الأطراف، إلا أنه من الضروري إيجاد وسيلة للاتصال عبر تطبيق موثوق وخاضع للتشفير لفترة وجيزة، ومن المفضل أن تبتعد عن الموقع بعد تحديده.

بعد تحديد موقعي وإرساله لمسؤول أمني في الموصل، بانتظار قوة الإنقاذ، أصبح المكان موحشًا، كانت أصوات الرصاص تتعالى وتقترب، ولم يعد بإمكاني وقف نزيف الجندي الذي ظل واقفًا لدقائق قبل أن يطلب مني مواصلة الهرب.

اعتلى الجندي الجريح إحدى السيارات، وأنا من ورائه، ظللت أصرخ طلبًا للمساعدة، حتى انتبه لنا في الطرف الآخر أفراد جهاز مكافحة الإرهاب، كان الجندي الجريح انهار من الإعياء والنزيف المتواصل، حمله الجنود الآخرون، وتوجهنا مباشرة في سيارة مصفحة نحو المشفى الميداني.

كان أطباء أميركيون وفرنسيون بانتظارنا في المشفى، وكأنهم يعلمون تمامًا أن أصوات الرصاص التي تعالت قبل نصف ساعة من وصولنا لا بد وأن توقع ضحايا، هناك تلقى الجندي الجريح إسعافات أولية، ونقل على الفور إلى المشفى الأميركي الرئيسي لإيقاف النزيف، وإنقاذه.

في تلك الدقائق كان الجميع يكيل لي الاتهام بعينيه، كنت أؤدي عملي وكان الجندي أيضًا يفعل ذلك، لم أقوَ على الرد من هول الصدمة التي غرقت في تفاصيلها، كنت على حافة موت محقق، بعد دقائق كان الجميع يردد اسمي «الصحفية المصرية.. أين هي سارة؟»، وصلت تلك القوة المكلفة باقتحام المبنى لإنقاذنا، وعلمت بوجودي في المشفى الميداني.

بعد أيام عدت للقاهرة، للمنزل، وكان القرار واضحًا داخلي دون اهتزاز بأن أعود لاستكمال تغطية هذه الحرب، ومع مزيد من الإصرار والانتباه، عدت إلى شمالي العراق، إلى قضاء تلعفر، أكبر الأقضية العراقية الواقعة تحت سيطرة **جماعة «الدولة الإسلامية»**.

كانت أكبر أزمات تلعفر هي مساحته الصحراوية الكبيرة، قضاء كبير وسط الصحراء، قريب من الحدود السورية، عُرف بأنه معقل المقاتلين الأجانب التابعين لجماعة **«الدولة الإسلامية»**، وكانت القوات العراقية سيطرت على مطاره العسكري الكبير أيضًا وفرضت حصارًا خانقًا على المنطقة، قبل نحو 10 شهور من بدء المعركة فيه في آب 2017.

مر اليومان الأولان من المعركة في تلعفر، بحلوهما ومرهما، كوني فتاة وسط زحام الجنود لم يمنع تقدمي معهم لتوثيق مسعاهم نحو السيطرة على الأحياء السكنية هناك، مسافة كبيرة نقطعها يوميًّا في الصحراء، طرق غير آمنة، لا ماء، ولا طعام طوال نهار المعركة، كنا نتقاسم بعض أرغفة الخبز.

في اليوم الثالث كنت في قلب المدينة، بعد مقاومة شرسة من جانب عناصر جماعة **«الدولة الإسلامية»**، كنت بصحبة فرقة من الجنود، وكنا قد دخلنا أحد المنازل الآمنة - خالٍ من المتفجرات - في حين استمرت المعارك بالخارج، في المنزل كانت كتيبات دينية مترجمة للغة الإنجليزية والتركية تملأ المكان، الذي اتضح فيما بعد أنه عيادة رئيسية في الحي تابعة لجماعة **«الدولة الإسلامية»**.

فجأة أصبح صوت الطلقات يأتي من كل مكان، شعرنا بأننا وسط الرصاص، قررنا الانتقال إلى منزل آخر لنتمكن من الوقوف على ما يجري حولنا، أرسلنا الجنود خلف إحدى المدرعات لنمر في شارع بطول 30 مترًا تقريبًا، وكان الرصاص ينهال علينا من كل مكان، حتى أصيب أحدهم بطلقة في الرأس خلفنا مباشرة، ما إن وصلنا إلى المنزل المُراد، حتى تجول الجنود داخله بحذر لنتأكد من كونه خاليًا من العبوات الناسفة، فالمهم أثناء سيرك في هذه الأحياء أن تنظر بشغف كبير حولك وتحت قدميك وعلى امتداد يدك وبصرك أيضًا، وأن تتأكد من خلو المكان من الأسلاك، والأمور الغريبة، وأي أمور قد تستغرب تواجدها.

كان يبدو على المنزل أنه تُرك حديثًا، إبريق القهوة العربية كان لا يزال يحتفظ بآثارها، وكذلك الأكواب من حوله، تفقدت مكانًا للجلوس خلف أحد الجدران لأتمكن من تدوين بعض الملاحظات لأكتبها لاحقًا، هنالك بدأ صوت الطلقات يقترب، حتى سمعت صوت إطلاق قذيفة **«آر بي جي»** من فوقي، انتفضت فجأة من مكاني، كانت تلك إحدى أخطر الخطايا التي تتكرر مع المراسلين في الميدان، أن تكون في موقع الهدف.

تذكرت وقتما كنت في **إدلب**، شمال سوريا العام 2012، وكانت القذائف تنهال على المدينة المحاصرة من كل اتجاه، لم يكن أمامي سوى البدء بلملمة متعلقاتي لترك المدينة باتجاه الريف، ولكن كيف سنخترق حصار المدفعية الثقيلة للوصول إلى الريف؟

كان الطريق من **إدلب** نحو **معرة مصرين** يبلغ نحو 12 كيلومترًا، قضيتها مشيًا على الأقدام، بدأت محاولة الهرب تلك عندما تعرضت المدينة لقصف شديد بالمدفعية ثم تدخلت المروحيات، وأصبحت المباني تتطاير من حولنا، وعلى الرغم من أننا اخترقنا هذا الحصار في البداية لندخل المدينة بحذر شديد، إلا أن الخروج منها كان انتحارًا لا يمكن أن نحيد عنه.

في تلك اللحظات مع بداية خروجنا لم نلبث أن

أتذكر في ذلك اليوم، أن أحدهم ذهب لفتح باب أحد البيوت الذي اختبأنا في ملجأ به تحت الأرض، ليسقط بطلقة قناص في الرأس أمامنا جميعًا

ICRC

الوثائق كنز الصحفي، لكنها ليست ملكه، كان ذلك أهم مبدأ أومن به أثناء تغطيتي للنزاعات المسلحة

ICRC

نحتمي بمنزل أو بيت حتى اعتلاه أحد المسلحين لإطلاق النار، ليرد الطرف الثاني باستهداف المنزل، وهكذا، حتى بتنا نسلك طرقًا ضيقة.

أتذكر في ذلك اليوم، أن أحدهم ذهب لفتح باب أحد البيوت الذي اختبأنا في ملجأ به تحت الأرض، ليسقط بطلقة قناص في الرأس أمامنا جميعًا، كنا نحو 10 أشخاص، غالبيتنا من المدنيين، وما إن اجتاحتنا رغبة عارمة بضرورة الخروج من هذا الملجأ ومغادرة المنزل، حتى ذهبنا لسرداب صغير مؤدٍّ إلى باب خلفي صغير، لكننا لحظنا العثر وجدناه موصدًا بقفل، وبينما كنا نحاول كسر الباب سقطت قذيفة قريبة في فناء المنزل، لتجبرنا على تسريع جهودنا بكسر الباب.

في النهاية كُسر، بعد عناء فتحنا جزءًا خرجنا منه، لم أعرف بالضبط حتى الآن كيف تمكنا من ذلك، ثم بدأت قذائف الهاون تنهال على المدينة بكاملها، فقررنا البقاء محتمين في أحد البيوت حتى يعم الظلام ونستطيع استكمال المسير نحو الريف.

حل الظلام، وبدأنا نخترق رويدًا رويدًا حقول الزيتون في تربة طينية صعَّبت من مشينا كثيرًا، وفي لحظة ما كانت تفصلنا بضعة أمتار عن منزل آمن في الضفة الأخرى من الطريق الدائري المحيط بإدلب، اقترب كلب منا وعوى بصوت مرتفع جدًّا لم يتوقف، فبدأت الدبابات المتمركزة على الطريق في إطلاق قذائف عشوائية في الظلام، لم أر منها سوى ذلك الشرار والضوء الأحمر، كان باستطاعته تبديد ظلام الليل فوقنا مباشرة، سقطت إحداها على مقربة شديدة مني، لكن الطين احتوى شظاياها، بينما كنت أنا من شدة الخوف منبطحة على بطني، ويدي تحمي رأسي الملتصق بالطين.

ما إن تردد ضجيج القذائف في أذني، حتى أفقت من ذكرياتي، على وضع مشابه في تلعفر، لأتخذ قرارًا سريعًا وأطلب من الجنود إعادة الجميع إلى المنزل (العيادة)، فعدنا بالطريقة ذاتها، خلف المدرعة، وبعد قليل كانت القوات العراقية قضت على عدد من مطلقي النيران في الجهة الأخرى فتقدمت ونحن وراءها.

في الخطوة التالية، كان سيرنا بطيئًا جدًّا وسط طرقات أحياء سكنية تبدو آمنة، وجدت في إحدى الحفر الصغيرة بجدار أحدها قلبًا مغطى بالغبار الشديد، وموضوعًا في حفرة بالجدار، مدوَّن عليه «لا إله إلا اللّه» اقتربت لألتقط صورته، فخرج أحد الجنود مسرعًا ليقول «**لا أحد يشدُّه لا أحد يشدُّه**»، كان القلب فخًّا موصولًا بعبوات ناسفة في الناحية الأخرى من الجدار.

في اليوم التالي عدنا لساحة القتال، وكانت القوات العراقية أحرزت تقدمًا كبيرًا ووصلت إلى وسط المدينة حيث «**سايلو تلعفر**» وهو عبارة عن مبنى ضخم لتخزين الحبوب، ذهبت كعادتي لتصويره والبحث عن ناجين مدنيين من المدينة، ووسط سيرنا كانت عمليات تفكيك الألغام تسير ببطء نتيجة كثرة وانتشار المتفجرات في كل مكان، فاضطررنا للسير في طريق آخر، وهناك وجدت سيارة مشتعلة كانت قد أحدثت ضجيجًا كبيرًا أثناء انفجارها، بجوارها منزل مليء بالملابس العسكرية الملقاة على الأرض، فطلبت النزول لاستكشافه.

دخلت المنزل لأكتشف أنه «ديوان المخابرات» التابع لجماعة «**الدولة الإسلامية**». في ذلك «الديوان» كانت وثائق جميع المقاتلين الأجانب تتجمع على المكاتب وفي الأدراج بينما أحرق بعضها الآخر، ويبدو أن من كان بداخله لم يتمكن من إحراقها بالكامل، فحصلت على وثائق وبيانات عناصر أجنبية من جنسيات مختلفة في التنظيم، بالإضافة إلى عدد كبير من عقود الزواج، والمكافآت، والرواتب، وغيرها.

الوثائق كنز الصحفي، لكنها ليست ملكه، كان ذلك أهم مبدأ أومن به أثناء تغطيتي للنزاعات المسلحة، خاصة تلك المستندات أو الشهادات المسجلة أو الخطية التي يمكن لها أن تؤثر على مستقبل أمن بلد ما، كان جهدي منصبًّا على تصوير أكبر كم من الوثائق أمامي على الرغم من ضيق الوقت الكبير، فبجانبنا سيارة مشتعلة بجوارها سيارة مفخخة أخرى يحاول الجنود تفكيكها ■

AFP

مازن أمان الله*

المهمة لم تنجز بعد: الإعلام العربي و تحديات مهنية في تغطية النزاعات

طيلة خمسة عشرَ عامًا، هي حصاد عملي صحافيًّا ومراسلًا حربيًّا، أستطيع بعد هذه السنوات أن أقف منتقدًا أداء غالبية وسائل الإعلام والصحافة العربية، فأنا فرد من داخل المؤسسة، وتوجيه بعض النقد من موقعي ليس بهدف الهجوم، ولكن بهدف التطوير.

لم يكن الثامن والعشرون من كانون الثاني/ يناير من العام 2011 والمعروف إعلاميًّا باسم «**جمعة الغضب**» هو ذروة التوتر في مصر خلال ذلك العام، بل يمكن القول إن الثاني من شباط/ فبراير والمعروف إعلاميًّا باسم «**موقعة الجمل**»، كان ذروة التوتر.

فعقب «الانتصار الميداني» للمتظاهرين واحتفاظهم بميدان التحرير، كان توتر المتظاهرين على أشده، قبل هذا اليوم اعتبر المتظاهرون أن كل وسائل الإعلام – عدا المملوكة من الحكومة المصرية -هم أصدقاء ورسل يقومون بنقل رسالة المتظاهرين «النقية الطاهرة الباسمة العادلة» إلى العالم، ولكن، هل كان «مجتمع المتظاهرين في ميدان التحرير» مثاليًّا فعلًا كما نقلته بعض وسائل الإعلام؟ يمكنني أن أجزم بالنفي. فخلال عملي كمراسل ميداني لقناة إخبارية عربية في ميدان التحرير والإسكندرية منذ 30 كانون الثاني/ يناير 2011 وإلى منتصف آذار/ مارس، كنت أقضي ليالي كاملة في التحرير والشوارع المؤدية له والتي تخضع لسيطرة المتظاهرين أو ما اصطلح على تسميته آنذاك باسم «اللجان الشعبية». وخلال تلك الفترة رأيت الكثير من الممارسات السلبية والعنف الذي مارسه هؤلاء ضد أفراد قادهم حظهم العثر ليكونوا في المكان والزمان الخاطئين. هل كنت وحدي من لاحظ تلك الظواهر؟ أجزم بالنفي أيضًا، فأي صحافي قضى يومًا كاملًا في ميدان التحرير، لا بد وأن تكون قد وقعت عيناه على مشهد من تلك المشاهد. لكننا لم نجرؤ، وأكررها، لم نجرؤ نحن الصحافيين، عربًا أو أجانب، على الإشارة ولو من بعيد لتلك المشاهد.

حدود التغطية

هناك أسباب عدة تجعل الصحافي يغمض عينًا أحيانًا عما يراه خلال التغطيات الميدانية، مثل إيمانه الشخصي بعدالة قضية ما، أو تخوفه من أن يفقد ترخيصه الصحافي، أو يفقد عمله، إن نشر ما يختلف مع السياسة التحريرية للمؤسسة التي يعمل بها. أو أن يفقد قدرته على الوصول إلى مكان الحدث الذي ينوي تغطيته. ففي مثل حال المظاهرات المصرية في كانون الثاني/ يناير 2011، لم يكن «التصريح» صادرًا من جهة حكومية مصرية، وإنما هو تصريح ضمني يصدر من جموع المتظاهرين، ممن تعرضوا عمدًا لمحاولات تشويه من الإعلام الحكومي المصري والموالي له آنذاك، ما جعلهم، وكلنا رأينا ذلك، يرفضون دخول العاملين في قنوات التلفزيون المصري.

ولا يقتصر إغماض العين أو عدم ذكر كامل الصورة على الفترة التي يكون فيها الصحافي في ميدان التحرير، وإنما يمكن أن تمتد أبعد بكثير من تلك اللحظة. ماذا لو كان الطرف المعني في السلطة أو تابعًا للجو السياسي والاجتماعي العام، إذ يصبح تناول أي موضوع بمهنية صحافية أحد التابوهات لأي صحفي يود أن يحتفظ بإمكانية دخول مكان الحدث.

لا أحاول هنا أن أتحيز إلى ما روجته بعض وسائل الإعلام آنذاك ضد المتظاهرين. قصدي أن أوثق أن ذلك الميدان لم يكن «يوتوبيا» تمامًا، رغم أنني وآخرين غيري من الصحافيين ساهمنا في تصويره كذلك.

مسؤولية الإدارة

لا يوجد خبر يستحق المخاطرة بحياتك. شعار نسمعه كثيرًا في الصحافة، ولكن التطبيق العملي مختلف، فرئيس قسم المراسلين «الجيد» هو من يضغط ويدفع بالمراسلين إلى أتون المعارك، ولعل لوثة «الصور الخاصة والحصرية» هي السبب في تفشي هذه الحمى. عانيت كثيرًا وأنا مراسل في مناطق الحرب من هذه المشكلة. بالطبع يمكنك دائمًا رفض الذهاب لتغطية معارك معينة أو مناطق نزاع وتوتر لأنك بخبرتك ترى الوضع غير آمن، ولن يستطيع رئيس قسم المراسلين إجبارك، ولكنه يملك تقييمك السنوي والذي ينعكس على ترقيتك ومكافآتك المالية أو زيادة الراتب الشهري. وكل «لا» تقولها لرئيسك، ستنعكس سلبًا على تقييمك السنوي. ويمكنني الجزم بأن ارتفاع أعداد القتلى أو المصابين أو المختطفين من الصحافيين العرب، يرجع بصورة أساسية إلى ما يمكن أن أصفه بتنمر بعض

* صحافي مصري

رؤساء التحرير أو رؤساء أقسام المراسلين الذين يجلسون في غرف الأخبار مكيفة الهواء ويدفعون بطواقمهم الميدانية لأتون المعارك، من أجل تعبئة بضع دقائق على الشاشة مع إشارة «صور حصرية» تزين شاشة القناة، ولتضعها في مركز متقدم في سباق القنوات.

كاتشاب في صحراء اليمن!

خلال تغطية مناطق النزاع يصادف الصحافي زملاء من جنسيات ووسائل إعلام مختلفة، وليلًا بعد أن يرسل كل منا مادته الصحافية، يجد الصحافيون فسحة لتناول العشاء أو كوبًا من الشاي معًا وتجاذب أطراف الحديث، وغالبًا ما يكون الموضوع هو مقارنة حالنا نحن «الصحافيين العرب» بالزملاء الأجانب. إذ غالبًا ما نجد بيننا زملاء عربًا أُرسلوا لمنطقة حرب من دون أي تدريب مسبق من أي نوع، ولو كان تدريبًا على دورة إسعافات أولية. وبعضنا لم يتلقَّ أي تدريب على التعايش في مناطق الحرب وطرق النجاة، فيما يُسمى بـ دورات «المراسل الحربي»، والبعض الآخر لم يعش يومًا خارج المدينة ولو في معسكر للحياة الكشفية. وتبدأ القصص والنوادر عن صحافي استفسر مثلًا من مزود الطعام في صحراء اليمن عن «كاتشاب»!

وننظر بحسرة لطواقم الصحافيين الغربيين، فهؤلاء كل شيء فيهم يشي بالاحترافية، بداية من الحذاء الآمن والمرافق المتمرس (عضو قوات خاصة سابق) والدورات التدريبية التي اجتازوها، ودورات الإسعافات الأولية وآليات التفاوض مع خاطفين، حتى دورات عسكرية للمبتدئين، وآليات التعايش في بيئات بريَّة أو صحراوية وغيرها. وأذكر أنني بعدما غادرت إحدى قنوات الأخبار التي عملت بها مراسلًا في منطقة حرب بأشهر عدة، التقيت مديري السابق في قسم المراسلين، وكان يعمل مع صحافيين غربيين في مشروع مشترك. وبدأ يشكو باستفاضة من طول وكم الاجتماعات التي يصر الصحافيون الغربيون على عقدها وكيف أنها تقتل يومه، فيخرج منها متهالكًا، من دون أن يشعر بأنه أنجز أي تقدم. حينها سألته إن كان هذا الجانب السلبي في العمل مع الصحافيين الغربيين، فما هو الجانب الإيجابي الذي رآه أو تعلمه طوال تلك الفترة؟ صمت قليلًا ثم قال: «تقسيم مهام العمل». مضيفًا «في غرف الأخبار العربية نطلب من المراسل أن يؤدي مهمتين أو ثلاثًا أو أربعًا، وأحيانًا خمسًا، أما الغربيون، فيصرون على تقسيم العمل، وإرسال عدد أكبر من الأفراد لضمان ذلك. فالمهمة التي نرسل لها مثلًا فريقًا من شخصين، يمكن أن يرسلوا لها فريقًا من ستة أشخاص أو أكثر! وبينما نبحث نحن دائمًا عن تقليل التكاليف، يبحثون هم عن راحة كل فرد في الفريق أثناء عمله، وضمان أن يكون الجهد وساعات العمل مقبولين إنسانيًّا، وهو ما ينعكس على نوعية العمل وجودته بالمقارنة بين فريق عربي من مصور ومراسل فقط قام بتغطية قصة أو حدث، وبين فريق غربي يمكن أن يصل عدده إلى سبعة أشخاص لتغطية الحدث نفسه.

لكن لعل أخطر ما يواجه الصحافة العربية حاليًّا، هو التحزبات السياسية والانقسامات الأيديولوجية والعرقية والمذهبية. فمنذ العام 2011 وإلى اليوم، يستطيع المرء أن يقول إن المهنية الصحافية والحيادية وحرية الرأي والتعبير تتآكل يومًا بعد يوم في منطقتنا. والجمهور العربي المتلقي لكل هذا الكم من الأخبار المؤدلجة يقف حائرًا من يصدق، ثم يقرر الانصراف عن متابعة الأخبار. وظني أن هذا هو السبب الرئيس لانصراف المتلقي العربي عن الأخبار، وإقباله أكثر على المحتوى الترفيهي.

صناعة الخبر تحتضر في العالم العربي ■

هناك أسباب عدة تجعل الصحافي يغمض عينًا أحيانًا عما يراه خلال التغطيات الميدانية، مثل إيمانه الشخصي بعدالة قضية ما، أو تخوفه من أن يفقد ترخيصه الصحافي، أو أن يفقد عمله

REUTERS

أندى الخطيب*

في حمص.. امتلكتُ الحقيقة

بدأت عملي في اللجنة الدولية للصليب الأحمر في سورية مع بداية العام الثالث للحرب في بلدي، وكان جزء كبير من عملي يقتضي متابعة وسائل الإعلام المختلفة، ومعرفة ما يجري على امتداد خريطة الحرب السورية التي كانت تزداد تعقيدًا كل يوم. كانت قدرتي على استيعاب ما يحدث تتناسب عكسيًّا مع كم متابعتي للأخبار. عدة أشهر مرت قبل أن يتحول مسار عملي إلى طبيعة ميدانية تخرجني من مكتبي، تخرجني من قوقعة الخبر العاجل إلى قصص الناس، آلامهم وأوجاعهم، تصحبني إلى أماكن صبغها القتال بلون الدمار وتضعني وكاميرتي أمام أشخاص وسمتهم الحرب بصفات نازحين، ضحايا، مهجرين، عائدين، لأتحدث معهم وعنهم فيما بعد. أشخاص لن يجدوا طريقهم إلى عنوان الصفحة الأولى من جرائد الغد، ولن يرتجف صوت المذيعة حين ذكر أسمائهم إلا إذا عرفت رصاصة حرب طائشة طريقها إليهم. حينها فقط سيصبحون أبطال الغلاف. أما أنا وفي وسط سعير هذه الحرب فقد وجدت بوصلتي، وجدت أبطالي ووجدت مرساتي التي ستثبتني في بحر الدماء هذا قبل أن يجرفني بعيدًا.

قصص الناس..

لست في موقع تشكيك بالأخبار الواردة، أو بعدم موضوعية هذه الجهة أو ذلك الصحافي، ولكني وبكل ثقة أستطيع القول إن الإعلام «الصديق» أو «العدو»، «المغرض» أو «الشفاف» لم يستطع أن يتحدث بصوت الناس، كل الناس. على كل حال، المهمة ليست بسهلة بل في كثير من الأحيان تكاد تكون مستحيلة. أذكر أنه وبانتقالي من مكان لآخر كانت جعبتي من القصص تزداد، وكان سؤال واحد يطاردني، ماذا لو أن أكثر ما نفتقده في زمن المعلومات هذا، هو الحقيقة؟ وما هي الحقيقة أصلًا؟ سمعت قصصًا ملهمة وأخرى كانت أقرب لأن تكون ضربًا من الجنون. تعرفت على أشخاص صقلتهم الحرب فأظهرت بريق باطنهم، وآخرين شوهتهم الحرب، جسديًّا ونفسيًّا.. وتبقى أفضل قصصي هي تلك التي شهدتها في حمص القديمة..

كنت مع الفرق الأولى التي دخلت المدينة فور تنفيذ الاتفاق لفتح أحياء حمص القديمة. دخلنا المدينة التي بدت للوهلة الأولى كمشهد البداية في فيلم هوليوودي، صمت ودمار هائل وفراغ. يكسر حاجز الصمت صوت ورقة شجر دفعتها الريح، ثم مرور سريع لقطة جائعة. نتابع المسير لنلتقي بمن بقي في منزله وشهد على كل ما حصل في هذه المدينة. استمعت لشهاداتٍ كثيرة، لم يرغب أغلب أصحابها بأن يتحدثوا عن بشاعة ما شاهدوا بل عن جمال صبرهم، فهم الحكاية أصلًا. إلى أن وصلت لزوجين في عمر الثمانين، أخذا من بقايا الطريق أمام منزلهما مجلسًا، وأمامهما ركوة القهوة والفناجين ومذياع صغير تصدح منه أغانٍ، صوت التشويش فيها أعلى من صوت الغناء، فمحطات تقوية البث لم تخضع للصيانة بعد أن دمرتها الحرب. أجلس معهما، أشاركهما فنجان قهوة وأسألهما: لو عادت بكما الأيام، هل كنتما تتركان منزلكما وتغادران حمص القديمة؟

وفور انتهاء سؤالي، سمعت إجابتين وصوتين، أجابني صوت الرجل بحزن «طبعًا، ومن اليوم الأول»، وبصوتٍ أكثر قوة، أجابت السيدة «أكيد لأ، كانت أحلى أيام».. أجابَهما صمتي الطويل وعيناي الحائرتان قائلين: «لم أفهم، أخبراني أكثر».. وهنا بدأ النقاش بين الزوجين الذي احتد ليتحول لمشهد مشاكسة اعتيادية بين زوجين عجوزين يختلفان على «طبخة اليوم» أو شراء براد جديد، إلا أنهما يتحدثان عن مدينتهما المهدمة.. هذان الشخصان عاشا التجربة ذاتها، تحت سقف واحد، جاعا وبردا معًا، ضحكا وبَكَيَا، تشاجرا وتصالحا مئات المرات، وها هما اليوم يخبراني قصتين مختلفتين، ولكل منهما رأي مختلف في السياسة والحرب. ظننت أني بحديثي معهما سأمتلك الحقيقة كلها... كم كنت ساذجة!

أفكر بقصة هذين الزوجين، وأتساءل كيف للإعلام أن يخبر بقصتهما، هل سيتحدث عنه أم عنها؟ ويُخيل لي أن صحفيًّا سيمر بهما فيختار القصة الأقرب لقلبه ولقلب مؤسسته الإعلامية وقلب جمهوره. ويختم الحديث عن أحدهما ويقول هذه قصة أهل حمص القديمة، قصة أهل حمص، قصة سورية أجمع..

أطفأتُ التلفاز... وتوقفت عن قراءة الجرائد...

هكذا أنهيت علاقتي مع نشرات الأخبار الطويلة واستديوهات التحليل العسكرية والسياسية والجيو–اقتصادية ومقالات الرأي والرأي الآخر والتقارير السرية المسربة عن الجنرال فلان أو السفير علان.. هكذا أنهيت علاقتي مع أخبار الحرب من سورية...

أظن اليوم وبعد سنوات الحرب الثماني أني امتلكت الحقيقة الوحيدة: «ما من حقيقة مطلقة!» ■

*تعمل أندى الآن موظفة بقسم الإعلام الرقمي بمقر اللجنة الدولية في جنيف. وقد عملت طيلة ثلاث سنوات مسؤولة في قسم الإعلام في بعثة اللجنة الدولية في دمشق.

REUTERS

تغطية موسمية:

اللاجئون في الإعلام العربي طرف صامت

آيات الحبال*

قبل سنوات، بدأ اهتمامي بملف المهاجرين واللاجئين في مصر عندما تدفق على مصر آلاف من السوريين الفارين من جحيم الحرب التي لم تضع أوزارها إلى الآن، وقد كتبت ورصدت الأوضاع القاسية التي مر بها هؤلاء المهاجرون عامة، واللاجئون منهم خاصة، ثم التحديات الكبيرة التي واجهوها. الآن وبعد هذه السنوات، يسجل السوريون في مصر قصة نجاح، فقد انخرطوا في نشاط اقتصادي كبير، واتسعت رقعة التغطية الإعلامية عنهم وعن قصص نجاحهم في القاهرة. لكن التغطية الصحافية لم تكن يسيرة قط في العام 2012، فقد كان لطالبي اللجوء السوريين، كغيرهم، تخوفات من الإعلام، أخذًا في الاعتبار الأزمات السياسية التي تضرب بلادهم، والأفق المسدود للصراع. كان من الصعب آنذاك التواصل معهم من دون وسيط، والذي كان عادة أحد مسؤولي الجمعيات الأهلية التي تتولى توفير المساعدات، أو شخصًا سوريًّا مقيمًا منذ فترة في مصر ولديه تواصل مع أبناء جاليته التي تعيش في الغالب في تجمعات سكنية متجاورة.

تمثلت التحديات التي واجهت السوريين في البداية في مخاوف عدم تقبلهم في المجتمع الجديد، والخشية من الملاحقات الأمنية، وعائق اللهجة، علاوة على عدم معرفة كثير منهم بالخطوات اللازم اتباعها للتواصل مع مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

لم ينجح الإعلام العربي على ما يبدو في اختبار تقديم تغطية مهنية لأوضاع اللاجئين، ويقول خبراء إن اللاجئين تحولوا إلى طرف صامت، لا يُسأل عن رأيه في قضايا تمس حياته اليومية، ليبقى الأمر متروكًا في التصريح وإثبات وجهة النظر إما للحكومات أو المنظمات الدولية

ICRC

كسر الجليد

كان لهؤلاء المهاجرين قصة خوف أخرى من الإعلام، مصدرها عدم الثقة في «الشخص الغريب» (الصحافي) الذي يريد الحديث معهم والتعرف على أوضاعهم عن كثب. يضاف إلى هذا اعتقاد ساد وسط قطاع من اللاجئين بأن المساعدات التي يحصلون عليها سواء من المفوضية السامية لشؤون اللاجئين أو من الجمعيات الأهلية الداعمة للاجئين ستتوقف في حالة ما إذا تحدث المرء منهم مع الإعلام أو جهر بأي شكوى. كان هناك أيضًا من يخشى الحديث مع الإعلام خوفًا من أي عواقب سلبية قد تطول ذويه في وطنه إذا ما تحدث في أي شيء يمس البلد الذي أتى منه.

•••

* صحافية مصرية متخصصة في تغطية قضايا اللاجئين

تطلب مني التعامل مع هذه المخاوف إجراءات خاصة، لمحاولة طمأنتهم وكسب ثقتهم، وإقناعهم أن الحديث مع الإعلام سيأتي بالفائدة على الجميع. إذ إننا سننشر التحديات والمصاعب التي يواجهونها، سنعمل على إيصال صوتهم للرأي العام. تمكنت أنا وزملاء لي من كسر الجليد، بفضل ما اتبعنا من طرق، كأن نجري عدة مقابلات مع المصادر من أجل «كسر الجليد»، والتعريف المفصل بهويتي وعملي الصحافي. بعض اللاجئين الذين قابلتهم طلبوا قراءة بعض تقاريري الصحافية السابقة لمعرفة من أكون حقيقة. الأمور لم تتوقف عند هذا الحد، فحتى لو تمكنت من الحصول على موافقة شخص للحديث معي، فقد كان يرفض ذكر اسمه، أو يرفض التقاط صور فوتوغرافية خوفًا من أن يراه أحد، أو يتعرف على مكانه أحد، أو احتمال أن يتعرض إلى أي مشكلات. مع الوقت، كسبت أنا وزملائي ثقة الكثيرين. كان لدراستنا الجيدة لملف اللاجئين، ومعرفتنا بالمصطلحات القانونية، وألفتنا مع اللهجة السورية، الفضل في تقريب المسافات، فنجحنا في طرح مواضيع تتناول أوضاع اللاجئين في مختلف السياقات، ومنها في أماكن الاحتجاز، علاوة على التحديات التي تواجه النساء، أو التعاطي مع الأزمات النفسية للأطفال المهاجرين.

مع مرور السنوات، وتنوع صور اندماج السوريين في المجتمع والحياة المصرية، اختلف نطاق ونوع التغطية الصحافية الخاصة باللاجئين السوريين. فزادت المساحة الخاصة بهم في وسائل الإعلام. رأينا الصحف وهي تنشر تحقيقات معظمها عن نجاح السوريين في تأسيس المشاريع الاقتصادية، خصوصًا مشاريع المطاعم. وشاهدنا قنوات فضائية عدة، وبرامج مسائية واسعة الانتشار وهي تستضيف رجال أعمال سوريين للحديث عن خططهم الاقتصادية في البلاد. لكن هذه التغطية الإعلامية، على القنوات الفضائية، أو في الصحافة المكتوبة أو المواقع الإخبارية، لا تركز غالبًا إلا على قصص النجاح، وهي قصص حقيقية، كما أنها تغطية موسمية مرتبطة بأحداث بعينها كافتتاح مشروع جديد أو ظهور قضية جديدة تتعلق باللاجئين في مصر. قليلة هي تلك التغطيات الصحافية والإعلامية التي ترصد ما يمر به اللاجئ أو المهاجر من مشكلات يومية سواء في مجال التعليم أو العمل أو في الحصول على الإقامة.

أحمد أبو حمد، وهو مؤسس مركز إيلان لصحافة اللاجئين بالأردن، يقول إن هناك ثغرة كبيرة في وسائل الإعلام العربية في تناول القضايا الخاصة باللاجئين. يقول: «**اللاجئون طرف صامت، لا يُسأل عن رأيه في قضايا تمس حياته اليومية، ليبقى الأمر متروكًا في التصريح وإثبات وجهة النظر إما للحكومات أو المفوضية السامية لشؤون اللاجئين والمنظمات الإغاثية الدولية**».

وجهة نظر

يرى جواد سامر، وهو طالب لجوء سوري يعيش في مصر منذ خمسة أعوام، ويدير فريقًا لكرة القدم، جميع أعضائه من الجالية السورية المقيمة بمدينة العبور، 35 كم شمال شرقي القاهرة، أن الإعلام المصري خاصة خلال السنوات الثلاث الأخيرة كان معينًا له وللجالية السورية في الكثير من الأمور. يذكر سامر أنه لمس استجابة من قبل صحافيين عرض عليهم مشكلات وطلب منهم إلقاء الضوء عليها، يقول: «كانت لدينا مشكلة كبيرة في الحصول على الإقامة وقدمنا مكاتبات كثيرة لمفوضية الأمم المتحدة ولوزارة الخارجية المصرية ولم نصل إلى حل. ولكن فور عرض المشكلة في وسائل الإعلام المصرية، حُلت المشكلة نسبيًّا. ساعدنا الإعلام في الوصول إلى مسؤولين لم نكن لنصل إليهم بمفردنا».

التغطية الموسمية لقضاياهم شجعت على ظهور منصات عبر وسائل التواصل الاجتماعي أنشأها اللاجئون أنفسهم للتواصل والحديث عن مشكلاتهم

ICRC

يرى اللاجئون أنهم حلقة ضعيفة وسهل كسرها. إنهم يواجهون ضغوطًا حياتية، علاوة على ما يتعرضون له من تمييز

كان سامر قد تنقل بين عدد من الدول في رحلة بحثه عن مكان آمن، إلى أن حط الرحال في مصر. من واقع خبرته، فإن المهاجر السوري في مصر يستطيع أن يجد من يتكلم عنه في الإعلام. وخلال السنوات الأخيرة، استعرضت قنوات فضائية مختلفة قصص نجاح سورية خصوصًا في مطاعم الوجبات السريعة، أو النسيج.

ويقول خبراء إن العلاقات التاريخية العميقة التي تربط بين البلدين سهلت اندماج السوريين في مصر. وفيما بين عامي 1958 و1961 اتحدت الدولتان تحت قيادة الزعيم المصري جمال عبد الناصر في مشروع وحدة قصير الأمد.

ويحفظ سامر لمصر أنها لم تضع اللاجئين في مخيمات ذات ظروف قاسية، ويرى أن الإعلام المصري ساهم في دعم المهاجرين السوريين دعمًا كبيرًا. يقول: «لم نتمكن من عرض مشكلاتنا في عدة دول. خلافًا لمصر، لم يكن هناك تقبل لقضايا اللاجئين في بعض الدول. من ساعد اللاجئين هناك هي الجمعيات الأهلية وليس الإعلام».

ويقول خبراء إن مصر قادرة، لكونها دولة ذات تعداد سكاني كبير، على استيعاب مئات الآلاف من المهجرين واللاجئين الذين وفدوا إليها. ووفقًا لبيانات مفوضية اللاجئين، فإنه يوجد في مصر أكثر من 235 ألف لاجئ وطالب لجوء مسجلين حتى آب/ أغسطس 2018، ينتمون إلى 58 جنسية. وهو رقم يقول خبراء إنه أقل بكثير من الأعداد الحقيقية للمهاجرين، ومنهم اللاجئون المقيمون في بلد قارب عدد سكانه المئة مليون.

وبالمقارنة، شكل تحمل عبء اللاجئين تحديًا كبيرًا لدول ذات تعداد سكاني أقل، إذ يستضيف لبنان زهاء مليون لاجئ سوري مسجلين وفقًا لبيانات الأمم المتحدة، فيما تقول الحكومة اللبنانية إن العدد الحقيقي يبلغ مليونًا ونصف المليون، يشكلون ربع عدد سكان هذا البلد المثقل بتحديات سياسية واقتصادية جمة. وبالمثل، تقول الحكومة الأردنية إنها تستضيف نحو 650 ألف لاجئ سوري، في بلد يقارب عدد سكانه الملايين العشرة.

اختراق عزلة

قصة النجاح لدى قطاع معتبر من السوريين في مصر، لا تتكرر مع لاجئين من بلدان القارة الأفريقية، خاصة شرق أفريقيا. فمع أن هناك علاقات جغرافية وتاريخية وتجارية وعلمية ربطت مصر بأفريقيا، إلا أن هناك مخاوف لدى اللاجئين وطالبي اللجوء من أبناء جنسيات أفريقية مختلفة في التعامل مع الإعلام. هناك القليل منهم الذي يلجأ إلى الإعلام لعرض مشكلاته. لقد رصدت وغيري من الصحافيين حالات للتنمر والتمييز في الشارع ضد لاجئين من دول شرق أفريقيا، لكن أصحاب هذه المشكلات لا يلجأون للإعلام لطرح قضاياهم. في كثير من الأحيان هناك حاجز كبير بينهم وبين الإعلام الذي يستخدم أحيانًا مصطلحات يشوبها «التنميط». لذا بدا من الصعب التواصل مع قطاعات كبيرة من هؤلاء اللاجئين إلا من خلال الجمعيات التي تعمل على تقديم الخدمات القانونية والنفسية والتعليمية لهم، أو من خلال التواصل معهم عن طريق وسطاء، يكونون في الغالب بعض المقيمين السابقين في مصر ممن يجيدون اللغة العربية ويعرفون اللهجة المصرية جيدًا. تقول آية نبيل، وهي صحافية تحقيقات مستقلة نشرت مواضيع عدة عن قضايا اللاجئين في منصات إعلامية مصرية، إنها لجأت إلى عقد لقاءات متكررة مع مهاجرين من دول شرق القارة الأفريقية، من إثيوبيا وإريتريا وجنوب السودان، في أماكن عملهم أو في الجمعيات الأهلية التي تقدم لهم الخدمات أو في أماكن تجمعاتهم، من أجل أن تتمكن من التعرف عليهم، ومعرفة طبيعة المصاعب اليومية التي يواجهونها. تقول نبيل: «**هؤلاء اللاجئون يرون أنهم حلقة ضعيفة وسهل كسرها. إنهم يواجهون ضغوطًا حياتية، علاوة على ما يتعرضون له من تمييز**».

مبادرات

ترى شاكيرا آدم، صحافية إثيوبية بشبكة «أروموا الإعلامية»، ولاجئة في مصر منذ خمس سنوات، أن اللاجئين من أصول أفريقية يعيشون في وضع أفضل في مصر، إذ يعيش أحدهم في وضع أفضل من نظيره الذي يصارع في المخيمات. لكنها تقول إن تفاعل الإعلام المصري مع قضايا اللاجئين تفاعل موسمي، ويرتبط في الغالب بالفعاليات التي تُنظم في اليوم العالمي للاجئين (يوافق 20 حزيران/ يونيو من كل عام)، أو بالمؤتمرات الخاصة بالجاليات الأفريقية. ضعيفة جدًا هي التغطية الإعلامية للحياة الإنسانية ومشكلات اللاجئ الأفريقي في مصر.

وتبرر آدم ذلك بعدم وجود منصة إعلامية في مصر تمثل صوت اللاجئين، علاوة على عدم مقدرة اللاجئ على التواصل مع الإعلام المصري بسبب حاجز اللغة، أو خوفًا من أن يتحدث عن مشكلات سياسية تحدث في بلاده قد تضره في مصر. وللتغلب على هذه المشكلة دشن بعض اللاجئين منصات إعلامية مستقلة ومتنوعة. تقول آدم: «كثير من اللاجئين لجأوا لتدشين منصات ناطقة بلغاتهم الأصلية للحصول على الدعم في بعض القضايا. هناك عدة منصات دشنها إثيوبيون في مصر للتواصل مع أبناء وطنهم، سواء في مصر أو خارجها».

التغطية الموسمية لقضايا اللاجئين شجعت على ظهور منصات عبر وسائل التواصل الاجتماعي أنشأها اللاجئون أنفسهم للتواصل والحديث عن مشكلاتهم، بالإضافة إلى ظهور عدد من التجارب أسسها مصورون وصحافيون، لرصد وتوثيق أوضاع اللاجئين وطالبي اللجوء المقيمين في مصر أيًّا كانت جنسياتهم.

ومن بين هذه المبادرات الناشئة مبادرة «لاجئ ترانزيت» (الرابط: https://www.facebook.com/Transitrefugee/) التي أسستها في مارس 2018 على فيسبوك، وهي مبادرة تهدف إلى توثيق حياة اللاجئين في مصر، ونشر جميع التغطيات عن اللاجئين سواء في صورتها المطبوعة أو المرئية. هذه التغطيات تشمل أنشطة ومشاريع اللاجئين المختلفة، سواء أنشطة رياضية أو تعليمية أو ثقافية. كما أنها منصة أيضًا لمساعدة الإعلاميين في ضرورة استخدام المصطلحات الصحيحة التي يجب استخدامها في التقارير الخاصة بالهجرة واللجوء وما يجب فعله وما لا يجب فعله أثناء الحديث عن هذه القضايا الحساسة.

هناك أيضًا مبادرة المصورة ريم عقل التي أسست حسابًا يحمل اسم «لاجئون في مصر» Refugees in Egypt على موقع انستغرام (الرابط: https://www.instagram.com/refugeesinegypt/). تحاول هذه المبادرة سرد روايات ما يعيشه اللاجئون في مصر من لقطات مصورة للاجئ وتعليق من الشخص نفسه، يسرد فيه حكايته أو مشكلة يقابلها.

ويقول أبو حمد إن هذه المبادرات مهمة لتجاوز طرق التعاطي الإعلامي التقليدية مع اللاجئين في المنطقة العربية. فبعض الدول تحاول احتكار الحديث باسم اللاجئين حتى تبقى وجهة نظر الحكومة هي الأكثر صدى وانتشارًا. ويذكر أن هناك دولًا تعتمد على التمويل الأجنبي الذي قد يتأثر في حال ثبت سوء المعاملة مع اللاجئين. وحتى إذا تناولت وسائل الإعلام العربية عامة قضايا اللاجئين، فإنها تنظر إلى اللاجئ نظرة متناقضة. فحسبما لاحظ أبو حمد في وسائل الإعلام العربية، فاللاجئ يبدو بمظهرين: «**ضحية عاجزة منكسرة أو شخصية انتهازية ومسببة للمشاكل... وفي الحالتين يُجرد اللاجئ من إنسانيته وإسقاط وجهة نظر الصحافي أو المؤسسة الصحافية عليه، دون إعطائه البعد الموضوعي الذي ينظر له كإنسان طبيعي له رأي في قضاياه ويستطيع التعبير عن احتياجاته**». لهذا دشن أبو حمد، بمشاركة صحافيين أردنيين، وصحافيين لاجئين، مركز «إيلان» لصحافة اللاجئين بهدف طرح قضايا اللجوء بمهنية وموضوعية، دون خطاب يحمل أي عداء أو كراهية للاجئين أو محاولات التأثير على نظرة الناس في المجتمعات المستضيفة لهم، أو التمييز في التغطية حتى بين الجنسيات اللاجئة ■

الوطن في اللمّة

تصوير: روجيه أنيس*

تعليق: آيات الحبال**

سواء كان الاغتراب اختياريًّا، كالسعي وراء الرزق أو الدراسة، أو إجباريًّا، كالفرار من الحروب والنزاعات، يظل المغترب في حالة بحث دائم عن وطنه الأصلي. بعض المغتربين ينجحون في استحضار وطنهم في الغربة برقصة تراثية أو بأكلة شعبية أو بملابس تقليدية. حاولت «الإنساني» في هذا العدد أن تقترب من هذه المساحة الحيوية جدًّا. حاولنا أن نجيب عن سؤال كيف أن المهاجر (سواء حظي بصك كونه لاجئًا أم لا) يجاهد بأقصى ما يستطيع ليبني واقعًا مختلفًا حتى في أحلك الظروف. حاولت «الإنساني»، كما كانت دائمًا، أن تكون منبرًا لصوت هؤلاء.

بين مستحضرات التجميل وأدوات التصفيف تشعر فتيات قبيلة الأورومو الإثيوبية أنهن أقرب لوطنهن. أسست إيناس أحمد هذا الصالون لمواجهة أعباء الحياة مع أبنائها. وبعد سنوات، تحول هذا الصالون الواقع في منطقة عرب المعادي بالقاهرة إلى قبلة الفتيات الإثيوبيات. تجهز إيناس العرائس، وتساعدهن على استئجار فساتين الزفاف

ICRC

صورة الحرب هي ما يذكره أبناء بدور العليان ووائل السراقبي «أبو عبيدة» عن وطنهم. لهذا أسست الأم بدور وزوجها وائل مركز «مستقبلنا» التعليمي لتقديم المساعدة النفسية لأطفال سورية. «شَبَّ الأطفال هنا في مصر. إنهم يعرفون نهر النيل بأكثر مما يعرفون نهر العاصي أو الفرات. مهمتنا أن نعيد إليهم الوطن حتى يعرفوه عندما يعودون إليه». هكذا تقول بدور.

ICRC

ICRC

«روز، وماجدة، وأم فرح، وبخيتة، وأمل» وأخريات في جلسة «فَضْفَضَة» أسبوعية. يجلسن يحكين يغنين، يشربن قهوة بالحبهان مستعيدات الحياة التي اعتدن عليها قبل اللجوء.

* مصور صحافي مصري

** صحافية مصرية

ICRC

يشعر أسامة وهو بين طلابه بأنه يؤدي واجبًا وطنيًّا تجاه السودان. يتولى أسامة تدريس الأطفال السودانيين الذين اضطروا لمغادرة بلادهم بسبب الحرب. يقول: «أنا محظوظ لأن أعلم الأطفال. لقد غيروا حياتي. أشعر معهم أني في السودان. هم أهلي بعدما انقطع تواصلي مع أقربائي الحقيقيين».

ICRC

هربًا من الحرب في السودان، استقر ريال جوزيف في مصر. شكل الرجل فريقًا كرويًّا يضم بين جنباته شماليين وجنوبيين. يقول: «شمال السودان وجنوبه لا يوجد فرق بينهما. نحاول أن نلعب وننسى الحروب التي هربنا منها. هدفنا ترسيخ حب الوطن عند أطفال لم تر السودان. الانتماء واللعب بروح الفريق هي أداتنا في ذلك».

ICRC

القراصة والكسرة أطباق سودانية تثير حنين السودانيين في مطعم الخرطوم في قلب القاهرة. تقول بتول صاحبة المطعم الذي أنشأته قبل عشرين عامًا مع زوجها: «المطعم هو بيت للسودانيين، هو ليس مجرد مكان للأكل، فالسودانيون في الغربة ينسون اختلافاتهم. يأتي إلينا الجميع، شماليين وجنوبيين. نحاول المساعدة في أي مشكلة قد يواجهونها».

ICRC

يشعر علاء قصَّار أنه في دمشق كلما أدى مع فرقته «العراضة الشامية». أسس قصَّار هذه الفرقة التي تضم الآن 30 شابًّا، وهي الآن تؤدي عروضها في الأفراح والمناسبات الخاصة بالسوريين في مصر. يقول «في العراضة رائحة الشام. تذكرني بوطني. عندما أؤدي عرضًا أنا والفرقة، أحس أننا بالشام».

الكتابة الإنسانية في زمن النزاعات... من المدونات إلى فيسبوك:

صباح الخير.. هنا الحرب!

نهى عاطف*

بدأت كتابة اليوميات على الإنترنت أو – ما اصطُلِحَ على تسميته بالعربية «المدونات» عام 1999، عندما أطلقت شركة (بايرا لابس) الأميركية منصة (بلوجر) للتدوين، كخدمة مجانية تتيح للمستخدمين نشر المحتوى النصّي والصور دون برمجة. واستخدم كثير من أوائل المدونين العرب هذه الخدمة. ولحق ذلك تقديم بعض الشركات العربية الداعمة للتكنولوجيا خدمة التدوين باللغة العربية عبر مواقعها، منها مدونات (مكتوب) و(جيران)، وهو ما ساهم في دخول مزيد من الأفراد إلى عالم المدونات.

عصر التدوين الذهبي

ومع الحرب على العراق عام 2003 برزت مدونات «الكتابة تحت الحرب»، وهي مشاركة نصوص أو صور عن قصص الحياة اليومية للمدنيين في مناطق الحرب والنزاع المسلح. وكانت مدونة (**سلام باكس**) هي الأبرز والأكثر شهرة، كونها باللغة الإنجليزية، ما جعلها مقصدًا للغرب الساعي لفهم أحوال العراقيين في ظل الهجوم العسكري. واكتسبت فكرة التدوين عن الحرب وجاهة بعد أن اقتبست الصحافة العالمية نصوصًا من (**سلام باكس**)، لتبدو «مدونات الحرب» إلى جانب كونها أداة لتفريغ المشاعر والأفكار الزاخمة التي تثيرها النزاعات المسلحة، وسيلة للفت أنظار العالم إلى قضية النزاع. وهكذا، توالى ظهور مدونات باللغة الإنجليزية مع وقوع الحروب في المنطقة العربية، فعلى سبيل المثال، ظهر في الحرب على غزة عام 2009 مدونات (**غُلا من غزة**) و(**مدونة خارج الصندوق**).

غير أن الانتشار السريع للشبكات الاجتماعية وزيادة عدد مستخدميها أثّر على قرائية المدونات، ومن ثمَّ الإقبال على استخدامها، لتؤدي الشبكات الجديدة مهمة منصات التدوين التقليدية في نشر المحتوى الذي ينتجه الأفراد، بما في ذلك الكتابة عن الحياة تحت الحرب والنزاع المسلّح. ومن أقدم الشبكات التي تم استخدامها لنشر القصص الإنسانية في الحروب والنزاعات (تويتر) الذي تأسس في الولايات المتحدة عام 2006، وقدم خدمته تحت اسم «التدوين المُصغَّر»، وعرض من خلاله بعض المستخدمين خبراتهم في ظروف النزاعات المسلحة، وهو ما ظهر مع تزايد شعبيته، على سبيل المثال أثناء بدايات النزاع في سورية عام 2011 والحرب الأهلية في اليمن 2015 وغيرها من الصراعات المسلحة في المنطقة (مثلًا في سياق حرب اليمن ينشط استخدام وسم (هاشتاغ) مثل: # اليمن، # صنعاء، # الحوثيون، # الحوثيين.) وعلى (تويتر) يُستخدم وسم لكل مناسبة، إلا أن الشركة المالكة لهذه المنصة تقوم دوريًّا بأرشفة المحتوى، ليصبح متاحًا فقط من خلال التواصل مع الشركة ومقابل دفع أموال. أي أن التغريدات أو محتوى كل وسم يتناول الحياة تحت الحرب – أو أي موضوع آخر – متاح للقراءة بشكل مؤقت. ومسألة إتاحة المحتوى واحدة من الإشكاليات التي تظهر في الشبكات الاجتماعية بشكل عام عندما نفكر بها كبديل للمدونات الإنسانية. وأركز هنا على شبكة (فيسبوك) تحديدًا، باعتبارها الأكثر شعبية بواقع ما يتجاوز ملياري مستخدم نشط شهريًّا.

فيسبوك ضد المدونات!

عمليًّا، اللوغاريتمات المعقدة لـ(فيسبوك) تصل المستخدم بآخرين قبل أن يبحث عنه، وتوصل إليه المحتوى النصي والوسائط المتعددة دون البحث عنها في فضاء الإنترنت، كما كان يفعل جمهور المدونات، ولعل ذلك سبب أساسي في كونها الأكثر منافسة للمدونات، فالمستخدمون غالبًا ما يبحثون عن المحتوى على (فيسبوك) قبل (جوجل)، ففرصة أن تظهر لهم صفحات ومجموعات هذه الشبكة الاجتماعية أكبر بكثير من أن يصادفوا نصًّا منشورًا في مدونة. فضلًا عن أن التفوق التقاني لشبكة (فيسبوك) يجعلها توصل المحتوى للراغبين فيه قبل حتى أن يفتشوا عنه، فنجد قسم (صفحات مقترحة) تظهر لمستخدم الشبكة بناء على ما يقوم به من بحث داخل (فيسبوك) أو خارجه وأنشطته من إعجاب ومشاركة المنشورات. وهكذا، إذا بحثنا عن «قصص اللاجئين السوريين» على (فيسبوك) سوف نصل بسهولة إلى عدة صفحات لمشاركة القصص الإنسانية للاجئين من سورية، أبرزها مثلًا (تنسيقية اللاجئين السوريين في لبنان ويوميات اللاجئين السوريين في الأردن وأخبار

ICRC

مع ارتفاع عدد مستخدمي شبكة الإنترنت العرب، أخذت الكتابة الشخصية على المدونات في الذيوع، وباتت ساحة لعرض الحياة بجوانبها الإنسانية وكتابة اليوميات في مناطق الصراع والحرب. لكن التطور التقاني المتلاحق سحب بساط الانتشار والتأثير من تحت أقدام المدونات، ووضعه حذو الشبكات الاجتماعية، لتصبح هذه الشبكات هي الناقل الأكثر استخدامًا لأصوات المعايشين لتجربة الحرب والنزاع.

* أكاديمية مصرية

اللاجئين السوريين في ألمانيا)، أما إذا بحثنا بنفس الكلمات على محرك بحث (جوجل) فسنجد معظم النتائج تخص صحفًا ومحطات إعلامية تنقل هذه القصص، ليصير (فيسبوك) هو قناة النقل المباشر لصوت الحروب والنزاعات دون وساطة إعلامية.

أيضًا، يظل (فيسبوك) مساحة مجانية لمستخدميه، لا يتطلب منهم أي مقابل مادي لإنشاء حساب شخصي أو أكثر، بخلاف المدونات التي يحتاج المستخدم إلى دفع أموال لشراء اسم للصفحة كمساحة استضافة إذا أرادها شخصية باسمه. وإلى حد كبير، يتولى (فيسبوك) إدارة أمن مستخدميه، بخلاف المدونات، كما أن التطبيق الخاص به على الهواتف الذكية في تحديث مستمر، على عكس غالبية التطبيقات الخاصة بمنصات التدوين الشهيرة.

لكن قبل مناقشة أفضلية (فيسبوك) على منصات التدوين لنقل الكتابة الإنسانية عن الحروب والنزاعات المسلحة، علينا أولًا تفهم أن ذلك تحول طبيعي، فالتكنولوجيا تتجدد باستمرار وتختفي أدوات وتظهر أخرى، وفقًا لأفضليات المستخدمين. فالشركات مالكة المواقع والخدمات المتعلقة بشبكة الإنترنت تبتكر وتعدِّل وتطور وتحذف حسب إحصاءات الاستخدام، والمثال ذو المعنى هنا هو ظهور (قارئ جوجل) عام 2007، كإحدى الأدوات لمطالعة المحتوى المنشور عبر المدونات التي يختارها المستخدم أولًا بأول، بحيث يصل إلى حسابه على بريد (جوجل) بدلًا من زيارة المدونات المفضلة لديه كلٍّ على حدة، ثم إغلاق هذه الخدمة في عام 2013؛ بسبب تضاؤل عدد مستخدميها، ما يعكس تراجع شعبية المدونات. وعلى الشبكات الاجتماعية - أيضًا – تلحظ أن المزيد من الخواص تظهر، أو بعضها يختفي، مثلًا، في بداية ظهور (فيسبوك) لم يكن هناك زر (إعجاب) الشهير، لكن تمت إضافته عام 2009. والشاهد من هذين المثلين أن المستخدمين هم محرِّكو المشهد التقاني، بالتالي فإن أفضلية شبكة عن أخرى لغرض ما – وحديثنا هنا عن التدوين الإنساني – ليس مرتبطًا بتميز شبكة اجتماعية عن أخرى بشكل عام، بقدر ما هو مسألة تلبية الشبكة الاجتماعية لاحتياجات المستخدمين.

تحول إيجابي أم سلبي؟

ينبغي أن ننتبه إلى أن شعبية إحدى الأدوات لا تعني تفوقها، فلدى خاصية التدوين على (فيسبوك) بعض أوجه القصور، منها – مثلًا – أنها لا تعطي معلومات كميَّة وجغرافية دقيقة عن مطالعي المحتوى، بعكس منصات التدوين الأخرى (منها بلوجر وورد برس) حيث يتمكن المستخدم من معرفة عدد قراء كل منشور ومن أي بلد هم وتفصيلات عن عمرهم وسنهم ووقت قراءتهم للمحتوى والكلمات المفتاحية التي استخدموها للوصول إليه، وهي معلومات تخدم الراغبين في التدوين تحت الحرب بهدف لفت الأنظار إلى النزاع المسلح.

والخاصية الأكثر خطورة - في تقديري – في التعامل مع (فيسبوك) كمنصة تدوين هي ضرورة أن يمتلك المدوِّن حسابًا على هذه الشبكة الاجتماعية، وهو ما يعني صعوبة إخفاء هوية المدوِّن، لأنه سيكون مضطرًّا لمشاركة صور وإضافة أصدقاء وغيره من الأنشطة الاجتماعية على (فيسبوك). وفكرة أن ينشئ أحدهم حسابًا صوريًّا له ويخصصه للتدوين المجهول تقلل من مصداقية هذا الشخص على الموقع الذي يسمح لمستخدميه بالإبلاغ عن الحسابات الصورية وحذفها. وخطورة فكرة الإعلان عن هوية الكاتب أو إخفائها هي احتمالية تعرضه للخطر من جانب أحد أطراف النزاع حال نشر هويته. ويقوم البعض بذلك فعلًا على سبيل المثال، تشارك (عُلا عنان) صاحبة مدونة (عُلا من غزة) على حسابها بشبكة (فيسبوك) تدويناتها المختلفة، سواء المتعلقة بفلسطين أو الشخصية، وتترك الكتابات مقروءة للجميع، وحتى الآن لم تتعرض (عنان) لخطر بسبب كتاباتها تحديدًا.

وبينما يمكننا اليوم مطالعة مدونات الحروب بالمنطقة منذ عام 2003 على (بلغسبوت) و(وورد برس) تقل احتمالية أن نرى تدوينات اليوم على (فيسبوك) بعد عشرة أعوام مقبلة، لأن بقاء المحتوى متاحًا مرتبط باستمرار وجود الحساب الذي تم من خلاله نشر النص أو الصورة، والاحتفاظ بإعدادات الخصوصية للنشر العلني وليس المحدود على دوائر معينة للمستخدم. وهكذا، خيار التوقف عن التدوين والاحتفاظ بالمحتوى القديم غير مطروح في عالم (فيسبوك)، فالمستخدم لا يمكنه إغلاق حسابه على هذه الشبكة وفي نفس الوقت الاحتفاظ بالمحتوى الذي قام هو بنشره، ولا بد أن يظل حسابه مفتوحًا ومُفعَّلًا في سبيل الاحتفاظ بمنشوراته. وهي النقطة التي أشرت إليها مُسبقًا أثناء الحديث عن (تويتر).

بالإضافة إلى ذلك، على (فيسبوك) يصبح من السهل نسخ ومشاركة المنشورات بمزيد من التفصيلات المختلفة أو الصور المفبركة، وعلى الرغم من وجود هذه الاحتمالية على المدونات، لكنها أكثر سهولة على الشبكة الاجتماعية التي تخصص زرًّا للمشاركة أسفل كل المنشور. وفكرة أن يضبط المستخدم إعداداته بحيث يختفي هذا الزر عن المنشورات تعني تقليل فرص نشر المحتوى لحسابات خارج مكان النشر الأول.

وقد لا يهتم أحدنا بكل أوجه القصور السابقة في سبيل شعبية فيسبوك وأعداد مستخدميه التي تتزايد لحظة بعد الأخرى، لكن الواقع أن المحتوى المنشور على هذه الشبكة الاجتماعية يظل في دوائر المستخدم وأصدقاء أصدقائه فقط، ولا يخرج إلى «العلن» فعليًّا ما لم يدفع المستخدم أموالًا إلى (فيسبوك) لترويجه، والترويج هنا لا يقتصر على الإعلانات، فهذه الشبكة الاجتماعية يمكنها – في مقابل المال – وضع منشورك أمام مستخدمين يقرأون عن الحرب من بلدان مختلفة.

وأعود إلى السؤال الذي طرحته: «هل نعتبر التحول في مكانة المدونات و(فيسبوك) إيجابيًّا أم سلبيًّا؟» أرى أن «اقتصار» التدوين على منصة واحدة نقطة ضعف كبيرة، خاصة أنه في حالة (فيسبوك) يصبح الأمان الرقمي والشخصي للمدونين مهددًا، بسبب قواعد الاستخدام التي تنتظر أن يكون المستخدمون أشخاصًا حقيقيين يشاركون معلومات ولو في دوائر محدودة. كذلك فإن (فيسبوك) لا يضمن ديمومة النصوص المنشورة ويرهنها ببقاء حسابات أصحابها مفعَّلة، فضلًا عن أنه - على خلاف المتصور – وصول القصص الإنسانية للعالم الخارجي فرصته على (فيسبوك) أقل من منصات التدوين، ما لم يلجأ المستخدم إلى خدمات ترويج المحتوى التي تقدمها الشبكة الاجتماعية ■

شعبية إحدى الأدوات لا تعني تفوقها، فلدى خاصية التدوين على (فيسبوك) بعض أوجه القصور، منها أنها لا تعطي معلومات كميَّة وجغرافية دقيقة عن مطالعي المحتوى، بعكس منصات التدوين الأخرى

ICRC

ليس من السهل على الصحافي أن يكون محايدًا ومتوازنًا في بيئة سياسية طاغية، مثل فلسطين

الصحافي الفلسطيني محمد دراغمة:

وظيفتنا التنوير وليس الثورة

حاوره: **أحمد زكي عثمان***

للصحافي الفلسطيني محمد دراغمة خبرة عريضة في التغطية الإخبارية من الأراضي الفلسطينية المحتلة، يظهر اسمه واضحًا في خانة الصحافيين الذين يولون المهنة الاعتبار الأهم. هنا حوار أجرته معه «الإنساني»، إذ طرحت عليه بعض الأسئلة «البديهية صحفيًّا ربما»، لكنها معقدة في واقعنا العربي

■ الإنساني: نود أن نتعرف إليك؟

اسمي محمد دراغمة، فلسطيني الجنسية، أعمل في الصحافة منذ العام 1991. وأنا الآن مراسل وكالة «أسوشيتد برس» (Associated Press) في الأراضي الفلسطينية. شاركت في عدة تغطيات صحافية في المنطقة العربية.

■ الإنساني: إذن لك خبرة عريضة في العمل في بيئة نزاع مسلح، وفيها قدر من التسييس. كيف تحافظ على توازنك المهني في بيئة مثل هذه؟

ليس من السهل على الصحافي أن يكون محايدًا ومتوازنًا في بيئة سياسية طاغية، مثل فلسطين، حيث تتفجر الصراعات أفقيًّا وعموديًّا. هناك صراع قومي بين الشعب والاحتلال، وهناك صراع على السلطة بين حركتين سياسيتين كبيرتين، قاد إلى حدوث انقسام جغرافي بين جزءي الوطن: الضفة الغربية وقطاع غزة، وانقسام في النظام السياسي وتشكل نظامين للحكم. الصحافي إنسان لديه آراء ومشاعر وامتدادات عائلية وسياسية. لذلك ليس من السهل عليه أن يكون محايدًا ومتوازنًا. كيف يمكنك أن تصبح حياديًّا وأنت وعائلتك وأبناء شعبك في مرمى النيران؟ كيف تكون متوازنًا وأنت ترى دماء الأطفال والشباب والنساء؟ هذه أسئلة حادة لكنها حقيقية تواجهنا كل يوم في عملنا الصحافي، في اختيار الموضوع وفي جمع المعلومات وفي كتابتها وتقديمها للقراء أو للمشاهدين.

والمشكلة الأكبر أن الصحافة مهنة مختلفة عن باقي المهن. أطباء القلب يجرون العمليات الجراحية بطرق متشابهة، والنجارون يصنعون الأبواب والخزائن بطرق متقاربة، لكن الصحافيين يختلفون في تقديم رسائلهم الإخبارية، والسبب أن مهنة الصحافة فيها شيء شخصي، فيها انحياز عاطفي ونفسي وعقلي لقضية ما، لشخص ما. الصحافي يمكنه اختيار الموضوع الذي يغطيه، واختيار العنوان، واختيار المتحدثين، واختيار تقديم معلومة على أخرى، وهنا يمكن لمشاعره الشخصية أن تلعب دورًا مهمًّا في توجيه الموضوع لخدمه طرف ما على حساب طرف آخر. أنا شخصيًّا تدربت في مدرسة صحافية تعتبر الصحافة مهنة، وأن الصحافي صاحب مهنة تقوم على نقل المعلومات المهمة والمؤثرة والمثيرة إلى الجمهور. ومع الوقت

* مدير تحرير المجلة

آمنت أن مهنتي ليس فيها مشاعر شخصية ولا مشاعر سياسية، وأن عليّ أن أبحث عن الأخبار والمواضيع المهمة للجمهور، وأقدمها له وهو يقرر ماذا سيفعل بشأنها. واكتشفت مع الوقت أن تكون [صحافيًا] فوق الأحزاب وفوق السلطات أفضل مليون مرة من أن تكون ضمن رؤية ومصلحة حزب أو سلطة أو حتى أمة. وعندما تنجح في أن تكون صحافيًا فوق الشبهات، فستكون مصدر معلومات للأصدقاء والخصوم أو الأعداء في آنٍ واحد، وهنا تكتمل المهنة. مشكلة الإعلام في مناطق الصراع مثل العالم العربي، هي أن الصحافيين يأخذون جانبًا، يقفون مع جهة من جهات الصراع، لذلك يكتبون قصائدهم للقبيلة، أو على أقل تقدير، يدسون مشاعرهم الشخصية في رسائلهم الإخبارية. لذلك نرى المشهد الإعلامي فقيرًا على هذا النحو الذي نعيشه.

■ الإنساني: كيف ترى التغطية الإعلامية للنزاعات المسلحة الآن؟ هل ترى أن تطور الأدوات التقنية جعل تغطية النزاعات المسلحة في العالم العربي أفضل بمعنى سرعة نقل الخبر، وإيراد مواقف جميع الأطراف المنخرطة في الصراع بحيدة ونزاهة؟

كان للتطور التقني في العالم العربي أثران متناقضان. فمن جهة لم يعد أحد قادرًا على إخفاء الأشياء. أي مواطن يمكنه أن يصور أي حدث يقع أمامه في هاتفه الشخصي، وأن ينقل الصورة إلى آخر بقعة في العالم. وبرزت مشكلة هنا هي أن وسائل التواصل حلت بدرجة كبيرة محل وسائل الإعلام التي فقد المواطن ثقته بها منذ زمن، فهجرها. لكن هناك حدودًا وسلبيات لوسائل التواصل الاجتماعي ذلك لأنها فتحت الطريق –أحيانًا– أمام التزوير والتشويه ونقل جانب واحد من الصورة.

وسائل التواصل الاجتماعي سريعة، وهي مصدر معلومات لكنها ليست مهنية، وغالبًا ما تنشر جانبًا واحدًا من الصورة، بينما الصحافي الحقيقي هو الذي يجري بحثًا واستقصاء مهنيًا قبل أن يقدم الصورة كاملة. وأعتقد أن التطور التقني يفرض تحديًا كبيرًا على وسائل الإعلام في العالم العربي، وهو أن تتقدم لأن تكون مصدرًا مهنيًا للمعلومات لكل الأطراف، وحينها فإن الجمهور سيقبل عليها لمعرفة ما جرى وما يجري. بدون ذلك سيظل الجمهور أسيرًا للقصص والآراء والأحداث والصور أحادية الجانب، غير المهنية التي تقدمها وسائل التواصل الاجتماعي.

■ الإنساني: من وجهة نظرك ما هي أهم العناصر التي ينبغي توافرها لإنجاز تغطية صحافية ناجحة في أوقات الأزمات؟

الصحافة مهنة صعبة ومعقدة وتحتاج إلى الكثير من الجهد، لكن قواعدها بسيطة، وهذه القواعد تنطبق على الصحافة في مختلف مراحل تطورها، وهي الموضوعية والتوازن والمهنية، بمعنى أن تبحث عن المعلومات المهمة والحقيقية، مهما كانت وأن تقدمها للجمهور. على الصحافي أن يؤمن بنفسه وبمهنته، وأن يكرس نفسه لها، وإلا فإنه سيفقد مكانته ودوره لصالح آخرين مثل وسائل التواصل الاجتماعي.

■ الإنساني: حدثنا عن تحقيق أو تقرير أو تغطية تليفزيونية لا تنساها؟

كتبت ذات مرة تحقيقًا عن شيوع تجارة السلاح في الأراضي الفلسطينية، ودخلت إلى مواقع البيع والشراء وجمعت المعلومات والصور، ونشرتها. أثار الموضوع أزمة سياسية [في عهد الرئيس الراحل ياسر عرفات]. اعتقل على إثرها أشخاص ظهرت أسماؤهم في التقرير، واعتقل آخرون ذوو صلة معهم. خلق لي هذا مشكلة كبرى مع المعتقلين وعائلاتهم ومع الرأي العام. كانت فترة عصيبة تعرضت فيها لتهديدات بالانتقام. لكن لو عاد الزمن لفعلت ما فعلت، لأن وظيفتنا نحن الصحافيين أن نبحث عن المعلومات الأكثر أهمية. المعلومات التي تؤثر على حياة وأمن ومصالح الجمهور، وبدون ذلك سنظل على الهامش. الصحافي الناجح هو من يتصدر الرأي العام في تقديم معلومات دقيقة وحقيقية ومهمة ومؤثرة لينير الرأي العام. وظيفتنا هي التنوير وليس التثوير. التنوير من خلال تقديم المعلومات الكاملة، المعلومات المفحوصة جيدًا، المعلومات الحقيقية وبعدها ليقرر الجمهور ما يشاء.

■ الإنساني: ما التحديات التي يواجهها الصحافي الذي يعمل في بيئات خطرة؟

التحدي الأكبر أمام الصحافي الذي يعمل في بيئة خطرة هو عدم الانحياز لطرف على حساب آخر، حتى لو كان قبيلته وطائفته وحزبه، عليه أن يحافظ على نفسه مصدرًا للأخبار الحقيقية لكل الجمهور. والتحدي الأهم أن يحافظ على حياته. فالحياة أهم من المهنة وأهم من تغطية أي حدث.

■ الإنساني: هل لدى العرب الآن تقليد صحفي ما في تغطية الأزمات الإنسانية وإيصال صوت المتضررين إلى العالم؟

للأسف لا توجد تقاليد إعلامية عربية من هذا النوع، فالإعلام العربي ولد من فوق، من الحكومات التي أسست الإذاعات ومحطات التلفزة والصحف، ومولتها من أجل خدمة وجهة نظرها. الصحافة في العالم العربي لم تولد من الأسفل، من الناس والمستثمرين وقوانين الاقتصاد، وإنما ولدت من الحكومات وبقيت غالبًا تنطق باسم تلك الحكومات. لكن الآن يتكون جيل من الصحافيين الباحث عن طريقه، وأعتقد أن المستقبل سيكون لصالح هذه المهنة، مهنة المعلومات، خاصة بعد فشل وسائل الإعلام الرسمية، وظهور وسائل التواصل الاجتماعي كتحدٍّ كبير ■

الإعلام العربي ولد من فوق، من الحكومات التي أسست الإذاعات ومحطات التلفزة والصحف، ومولتها لخدمة وجهة نظرها

إعلام أسود
الامتداد الرقمي للعنف و الكراهية

محمد علام*

شكل الإعلام الرقمي أداة مهمة في نقل ما يحدث على الأرض إلى آفاق أوسع وجمهور أعرض. ومع ذلك، فقد ظهرت آثار سلبية لهذا النوع المتطور من نقل الوسيلة الإعلامية، إذ إنه أصبح يُستخدم الآن كامتداد للمعارك التي تدور رحاها حولنا.

يستخدم العديد من خبراء الإعلام الرقمي اليوم مصطلح «الذات الممتدة» أو «امتداد الذات»، والمستعار من علم النفس، للإشارة إلى الهوية التي نخلقها لأنفسنا على مواقع التواصل الاجتماعي. ويشير المصطلح أيضًا للهواتف الذكية التي أصبحت جزءًا لا يتجزأ من ذواتنا، نشعر بالخسارة الكبيرة إذا فقدناها. أما في هذا المقال، فأستعير مفهوم الامتداد لوصف ظاهرة أصبحت ملمحًا أساسيًّا في نزاعات اليوم، مسلحة كانت أو سياسية أو اجتماعية. الظاهرة محل النقاش هي دور الإعلام الرقمي في تأجيج النزاع وبث خطابات الكراهية والتحريض على العنف. فامتدت مؤخرًا ساحات القتال لتجعل من فيسبوك وتويتر ويوتيوب وتليجرام وغيرها ساحات رئيسة تحاول فيها أطراف أن تجعل صوتها الأعلى، ورسائلها الأكثر انتشارًا، ورؤيتها هي الحقيقة.

امتداد رقمي

ويمكن استعارة مفهوم الامتداد أيضًا لوصف دور الإعلام الرقمي اليوم في حالات النزاعات من كونه امتدادًا وتوسعًا لدور الإعلام التقليدي في تغطية ونقل النزاعات. فعلى مدار القرن الماضي، عرض العديد من الصحفيين حياتهم للخطر لنقل وقائع أحداث العنف من موقع الحدث، بالإضافة لاهتمامهم بنقل معاناة المدنيين وغير المعنيين بالنزاع. ومع التغيرات التي شهدها القرن الحالي من قرب الجمهور من الصحفيين ومن بعضهم البعض، ومن ارتفاع وطأة التحديات التي يواجهها الصحفيون عند تغطية النزاعات، وفرت منصات الإعلام الرقمي أدوات من شأنها تسهيل عمل مراسلي الحروب، إذ تقربهم من مصادر المعلومات ومن مستقبليها في آن واحد وفي عالم صغير يتشارك صفحة واحدة، واسمًا واحدًا، أو قناة واحدة.

وبالرغم من التأثيرات والاستخدامات الإيجابية للإعلام الرقمي في حالات النزاعات، فقد شهدت الأعوام القليلة الماضية عدة أمثلة تبرهن على قابلية هذه المنصات للاستخدام كسلاح ذي حدين. فمن جهة، توفر منصات الإعلام الرقمي مساحات بديلة للتعبير عن الرأي ونقل وتغطية الوقائع من زوايا لا تغطيها وسائل الإعلام التقليدية. وقد مكنت تلك المنصات أيضًا فئات كانت على محك الخطر، كالمهاجرين والنازحين، من الوصول للمعلومات والبيانات، كانت منقذة للحياة في بعض الأحيان. فوجدت دراسة أجرتها مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين** أن كلًّا من الهاتف الذكي والإنترنت مهم لسلامة وأمن اللاجئين تمامًا كالطعام والمأوى والمياه. ورأينا أيضًا كيف استُخدم واتساب وفيسبوك وغيرهما من وسائل التواصل الاجتماعي لنقل ظروف احتجاز غير آدمية لبعض المهاجرين. هذه الأمثلة غيض من فيض، وهي تثبت الدور الفعال للإعلام الاجتماعي خلال النزاعات المسلحة التي ضربت المنطقة العربية خلال السنوات الأخيرة.

جانب مظلم

لكن هناك جانبًا مظلمًا، فيه استُخدم الإعلام الرقمي لتغذية خطابات تتبنى العنف وتحض على الكراهية وتكرس الطائفية. وقد تناولت بعض الدراسات دور منصات التواصل الاجتماعي في التأثير على سلوكيات المستخدمين***. فعلى سبيل المثال، قد يؤدي تعرضنا لجرعات معينة من المعلومات سواء صحيحة أو مغلوطة إلى تغيير أو ترسيخ رؤيتنا لـ«الآخر». وبغض النظر عن مخالفة ذلك «الآخر» لنا في الهوية الاجتماعية أو الاثنية أو الدينية، أو حتى مجرد آرائنا السياسية أو الفنية، فلهذا التأثير أهمية كبرى في تشكيل مجتمعاتنا المعاصرة الساعية أحيانًا لدمج الثقافات وكسر الحواجز والحدود. فأثبت بحث مؤخرًا أن تعرضنا لخطاب تحريضي قد يؤدي للتقليل من حساسيتنا تجاه الآخر وزيادة التباعد بيننا مما يعزز من التحيزات والأحكام المسبقة لدينا****.

وبطبيعة الحال، فأدوار وتأثيرات الإعلام الرقمي السلبية في حالة النزاعات المسلحة أو أشكال العنف الأخرى، ليست بالضرورة نفسها في حالة الاضطرابات السياسية، أو في حالة السلم والاستقرار، ولكنها بالتأكيد أشد وطأةً لا سيما على حياة المدنيين والفئات الأكثر عرضة للخطر. تقدم ميانمار مثالًا بارزًا على هذا. يتمتع هذا البلد الآسيوي بتنوع سكاني وثقافي كبير، فهو بلد متعدد الاثنيات واللغات والثقافات، لكن للأسف لعب فيسبوك «دورًا حاسمًا» في تغذية خطاب الكراهية، كما أشار فريق تحقيق من الأمم المتحدة. فلم يعد الموقع منصة للتواصل والمشاركة الاجتماعية فحسب، بل تحول لأداة في يد بعض المتطرفين للتحريض على العنف والكراهية. الأمر الذي أجبر فيسبوك مؤخرًا على حذف حسابات شخصيات عامة ومنظمات في سعي من الموقع لـ «منع أولئك الأشخاص من استخدام الخدمة لإثارة المزيد من التوترات العرقية والدينية».

* محلل إعلامي في اللجنة الدولية للصليب الأحمر– جنيف

توفر منصات الإعلام الرقمي مساحات بديلة للتعبير عن الرأي وتغطية الوقائع من زوايا لا تغطيها وسائل الإعلام التقليدية

AFP

أما في **ليبيا**، وهي بلد صغير مقارنة **بميانمار**، يبلغ عدد سكانه 6 ملايين نسمة تقريبًا، فيلعب فيسبوك ومواقع التواصل أدوارًا متنوعة لا تقل خطورة عن مثيلتها في ميانمار. ففي خضم النزاع المسلح وانتشار الأسلحة في البلد الذي يعاني أهله من ويلات الحرب، وجد تجار الأسلحة والبشر على حد سواء في الموقع أداة فعالة للترويج لمنتجاتهم وخدماتهم. ونجد أن استخدام الإعلام الرقمي لبث الرسائل التحريضية ونشر الإشاعات أحيانًا، لا يختلف في كونه على صفحات وحسابات الدول ومؤسساتها وقواتها المسلحة من جانب، أو الجماعات المسلحة غير النظامية من جانب آخر. فالكل يعتبر فيسبوك وغيره من المنصات بمثابة امتداد لساحة قتال يجب التفوق فيها والفوز بالمعركة.

على صعيد أكثر إيجابية، توصل بحث مؤخرًا إلى إمكانية الاستفادة من فيسبوك في ميانمار لبناء السلام عن طريق بث رسائل من شأنها التأثير الإيجابي في سلوكيات الملايين من مستخدمي الخدمة. ومن جانبه، يعمل فيسبوك أيضًا، من خلال بعض المبادرات، على تعزيز التسامح والترويج للخطاب المضاد للكراهية. لكن حتى هذه اللحظة لم تشهد هذه المبادرات أية نتائج ملموسة. *****

وبالرغم من لوم الكثيرين لأصحاب ومشغلي خدمات التواصل الاجتماعي على سماحهم لخطاب العنف والكراهية بالتواجد على صفحات منصاتهم، إلا أن جزءًا أساسيًّا من المسؤولية يقع على عاتق مستخدمي هذه الخدمات أيضًا. فالرقابة الشاملة تكاد تكون مستحيلة في عصر سمته حرية التعبير وتعددية الآراء. ولحساسية وخصوصية أوقات النزاع المسلح، فعلى الحكومات والمنظمات غير الحكومية والجماعات المسلحة والسياسية وغيرها من الجهات الفاعلة، التوعية بخطورة استخدام منصات الإعلام الرقمي في تأجيج النزاع والتحريض على مزيد من العنف والكراهية. فبالرغم من مشروعية مهاجمة أهداف عسكرية في نطاقات محددة في أوقات الحروب، إلا أن خطاب العنف والكراهية لا يميز بين هدف عسكري ومدني. ومع أن مهاجمة هدف عسكري قد ينتج عنها خسارة مادية آنية، إلا أن الخسارة والشق المجتمعي الناتجين عن تأثيرات خطاب الكراهية عادة ما يستمران لأجيال وقد تنتج عنهما نزاعات لا تتوقف لعقود قادمة ■

** مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، التواصل عبر الهواتف المحمولة شريان حياة للاجئين، أيلول/ سبتمبر 2016، الرابط:
http://www.unhcr.org/ar/news/latest/2016/9/57dbeb5d4.html#

***Althoff, T., Jindal, P., & Leskovec, J. (2017, February). Online actions with offline impact: How online social networks influence online and offline user behavior. In Proceedings of the Tenth ACM International Conference on Web Search and Data Mining (pp. 537-546). ACM.

****Soral, W., Bilewicz, M., & Winiewski, M. (2018). Exposure to hate speech increases prejudice through desensitization. Aggressive behavior, 44(2), 136-146.

*****Silverman, C. (2018). Can positive messaging on social media promote peacebuilding in Myanmar?.

الصحافية والإنسانية والحرب

قبل نحو سبعة أعوام، أُسدل الستار على الفصل الأخير من حياة مراسلة الحرب الجسورة ماري كولفين (1956–2012). وحتى تكتمل الصورة: لفظت كولفين أنفاسها الأخيرة وهي تغطي المعارك الدامية في مدينة حمص السورية. نهاية درامية تليق بصحافية جابت الكوكب طولًا وعرضًا لتنقل لنا وحشية الحروب والأهوال التي يلاقيها المدنيون في العراق ويوغسلافيا وسريلانكا وسورية. لم يفت في عضدها ذلك الهجوم الغادر الذي تعرضت له، وأفقدها إحدى عينيها وهي تستقصي أبعاد الأزمة الإنسانية الرهيبة للعنف في سريلانكا في العام 2002. امتلكت كولفين من البأس أن تسطر ثلاثة آلاف كلمة رغم الإصابة الفارقة لتنقل وقائع ما جرى. وعندما جاء «الربيع العربي» حملت الصحافية الأميركية، التي قاربت الستين من العمر آنذاك، عصاها وارتحلت إلى المنطقة التي كانت على موعد مع موجة عنف لم تعرف لها مثيلًا في حياتها (والهاء هنا عائدة على المنطقة وعلى كولفين ذاتها). رحلت كولفين بعد حياة صحافية استثنائية في تغطية النزاعات المسلحة، ضربت فيها المثل للمهنية والاهتمام بالتفاصيل والإعلاء من شأن الحقيقة، كل هذا معطوفًا على قدرتها البارعة في نقل الأثر الموجع للحرب علينا جميعًا.

REUTERS

هيلين دورهام*

نوبل للسلام 2018

العنف الجنسي في الحروب تحت دائرة الضوء

منحت لجنة نوبل جائزة نوبل للسلام 2018 لكل من نادية مراد ودينيس موكويغي، وهما ناشطان يناضلان ضد العنف الجنسي في الحروب. وقد بث هذا الخبر الأمل في هذه الأوقات العصيبة التي تتواصل فيها فصول معاناة المدنيين المريرة – وبخاصة النساء – في النزاعات المسلحة الدائرة. وأود هنا أن أعرب عن خالص تهانينا القلبية للفائزين، واحتفائنا بهذا القرار الذي يلقي الضوء على جريمة حرب كثيرًا ما تتوارى تحت طيات الصمت المطبق. إن هذه اللحظة تبعث الشجاعة والأمل في نفوس ضحايا العنف الجنسي في النزاعات ومن يجاهدون للقضاء على هذه الجريمة، وفرصة للتفكير في الأعمال التي أنجزناها والمساعي التي ما زال علينا أن نبذلها.

AFP

دينيس موكويغي

AFP

نادية مراد

* خبيرة قانونية بارزة، وهي الآن مديرة دائرة القانون الدولي والسياسات الإنسانية في اللجنة الدولية للصليب الأحمر

تخصصت في مجال القانون الدولي الإنساني ملتزمة التزامًا مهنيًّا بالبحث عن الحقيقة في قضايا العنف الجنسي كونها جريمة حرب، وقد يبدو هذا البحث للوهلة الأولى بلا داعٍ يبرره، وخصوصًا إذا كنا نُدرك أن تجريم الاغتصاب هو أحد أقدم وأبسط قواعد الحرب، كما أنه ورد حظر صريح لهذه الجريمة (وما يترتب عليها من عقاب بالإعدام) في أول قانون حرب في العصر الحديث، وهو مدونة ليبر لعام 1863، ونصت اتفاقيات جنيف لعام 1949 وبروتوكولاتها الإضافية لعام 1977 أيضًا على حظر الاغتصاب وغيره من أشكال العنف الجنسي. ولم يقتصر الحظر في هذه الصكوك على الصيغ الصريحة فقط، وإنما ورد ضمنًا في معرض حظر المعاملة القاسية والتعذيب وانتهاك الكرامة الشخصية وخدش الحياء والإكراه على البغاء.

المساءلة عن جرائم العنف الجنسي في الحرب: إنجازات المحاكم الدولية

لم يقترن هذا القانون رغم ذلك بالمساءلة حتى عهد قريب جدًّا، فالمحاكمات التي شُكلت في أعقاب الحرب العالمية الثانية، كتلك التي انعقدت في نورمبرغ وطوكيو، لم تسفر إلا عن أقل القليل من السوابق القضائية الدولية في مقاضاة مرتكبي الاغتصاب بوصفه جريمة حرب. اندلعت حروب جديدة ووضعت أوزارها في العقود التالية، لكن ظلت الانتهاكات المتعلقة بالعنف الجنسي بعيدة عن دائرة الضوء، إلا أن النزاعات التي اندلعت في بداية التسعينيات في يوغوسلافيا السابقة ورواندا غيرت هذا الوضع، فقد جلبت هذه النزاعات إلى ساحات المحاكم المعاناة التي أصابت النساء والرجال والفتيان والفتيات، وعائلاتهم ومجتمعاتهم، جراء حوادث العنف الجنسي. وانتبه المجتمع الدولي إلى الحاجة

إلى التصدي لإفلات الجناة من العقاب، وأثار أسئلة محددة بشأن كيفية نظر المحاكم في حالات انتهاك القانون هذه؛ أي نوع التهم الموجهة، وطبيعة الأدلة المطلوبة، وتحديد الأشخاص المتهمين بارتكاب الجرائم.

إن الخطوة التاريخية بإنشاء محكمتين جنائيتين دوليتين مخصصتين ليوغوسلافيا السابقة ورواندا (المحكمة الجنائية الدولية ليوغوسلافيا السابقة والمحكمة الجنائية الدولية لرواندا) أظهرت إصرار المجتمع الدولي على معاقبة مرتكبي جرائم العنف الجنسي، ومطالبة الأفراد - بمن في ذلك القادة - بتحمل المسؤولية الجنائية عن ارتكاب مثل هذه الجرائم. وأعقب ذلك إجراء محاكمات ناجحة، ففي محكمة يوغوسلافيا، مثلت قضية فوروندزيا (Furundzija) علامة فارقة من حيث تركيزها بالكامل على اتهامات تتعلق بالعنف الجنسي[1].

لا جدال اليوم في أن الاغتصاب يشكل جريمة حرب في النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية على حد سواء، ففي قضية كوناراك (Kunarac)، رأت محكمة يوغوسلافيا أيضًا أن الاغتصاب يمكن أن يشكل جريمة ضد الإنسانية في ظروف معينة [2].أما في قضية أكاييزو (Akayesu)، فقد رأت محكمة رواندا أن الاغتصاب والأشكال الأخرى من العنف الجنسي يمكن أن «تشكل إبادة جماعية شأنها شأن أي عمل آخر ما دامت قد ارتكبت بقصد محدد هو تدمير مجموعة معينة مستهدفة تدميرًا كليًّا أو جزئيًّا».[3] وفي قضايا مثل سيلبيتشي(Celebici) وكوناراك (Kunarac) ، قضت محكمة يوغوسلافيا بأن الاغتصاب يمثل ضربًا من ضروب التعذيب[4].

إن الخطوة التاريخية بإنشاء محكمتين جنائيتين دوليتين مخصصتين ليوغوسلافيا السابقة ورواندا أظهرت إصرار المجتمع الدولي على معاقبة مرتكبي جرائم العنف الجنسي

واستنادًا إلى هذه الأحكام القضائية، رأى كثيرون أن وضع النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية فرصة طال انتظارها لتوضيح هذه المسألة. وعليه، فقد تضمن نص المادة 8 من نظام روما الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية «الاغتصاب أو الاستعباد الجنسي أو الإكراه على البغاء أو الحمل القسري أو التعقيم القسري، أو أي شكل آخر من أشكال العنف الجنسي» بوصفها جرائم حرب في النزاعات المسلحة الدولية وغير الدولية على حد سواء. ومؤخرًا في 2017، أكدت دائرة الاستئناف التابعة للمحكمة الجنائية الدولية، في حكمها الصادر في قضية نتاغاندا (Ntaganda)، على الولاية القضائية للمحكمة في البت في جرائم الاغتصاب والاستعباد الجنسي بوصفها جرائم حرب إذا ارتكبها الجاني ضد أفراد من قواته المسلحة،[5] ما يعكس تفسير المادة المشتركة الثالثة للجنة الدولية على اتفاقية جنيف الأولى.

أهمية الأنظمة القانونية الوطنية في مقاضاة مرتكبي جرائم العنف الجنسي ومعاقبتهم

وثقت المحكمة الجنائية الدولية والمحاكم المخصصة، عبر هذه السلسلة من القضايا، فصولًا مروعة من المعاناة الإنسانية، ونجحت في إبراز المسؤولية الفردية عن الجرائم المرتكبة. وبالرغم من إحراز تقدم في هذا الصدد، ما زال العنف الجنسي متفشيًا في النزاعات الدائرة اليوم، وما زال خارج دائرة الضوء بشكل يثير الدهشة، ويصعب تحديد مرتكبيه لمقاضاتهم. وتستشري وصمة العار والخوف من الانتقام والمفاهيم المغلوطة بين الضحايا، بل وتمنعهم في أحوال كثيرة هم والشهود من التصريح بما جرى أو تلقي الرعاية التي

هيلين دورهام

تشغل هيلين دورهام منصب مدير دائرة القانون الدولي والسياسات الإنسانية في اللجنة الدولية منذ 2014، وتتمتع السيدة دورهام بخبرة تتجاوز 20 عامًا في شؤون الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر. عملت هيلين قبل ذلك مستشارًا قانونيًّا لدى بعثة اللجنة الدولية في المحيط الهادئ، ورئيس مكتب اللجنة الدولية في أستراليا، إلى جانب وظائف عدة لدى الصليب الأحمر الأسترالي، منها مدير القانون الدولي والشؤون الإستراتيجية والمدير الوطني للقانون الدولي الإنساني. تحمل هيلين درجة الدكتوراه في القانون الدولي الإنساني والقانون الجنائي الدولي، وهي زميلة كلية ملبورن للقانون، وشغلت منصب مدير الأبحاث في مركز آسيا والمحيط الهادئ للقانون العسكري. كما أتمت مهام ميدانية لصالح اللجنة الدولية في ميانمار وإقليم آتشيه والفلبين، وشاركت في مباحثات قانونية دولية في نيويورك وروما وجنيف.

ICRC

ما زال العنف الجنسي متفشيًا في النزاعات الدائرة اليوم، وما زال خارج دائرة الضوء بشكل يثير الدهشة

يحتاجون إليها.

لذا وبينما حققت الأحكام القضائية الصادرة عن المحاكم الدولية والمحاكم المخصصة تقدمًا ملموسًا في هذه القضية، تكتسب الأنظمة القانونية الوطنية أهمية حيوية في أي نقاش يتعلق بالمساءلة، ويتعين أن تكفل الدول إتاحة التحقيق في جرائم الحرب المتعلقة بالعنف الجنسي ومقاضاة مرتكبيها ومعاقبتهم بموجب القانون الوطني[6]. بل يلزم في بعض الحالات تطبيق الالتزامات القانونية الدولية على المستوى الوطني بشكل أفضل، كما ينبغي كثيرًا اتخاذ المزيد من التدابير التي ترمي إلى تخفيف عبء الإجراءات القضائية (قدر المستطاع) على الضحايا. ومن الخطوات التي يمكن أن تساعد في هذا الصدد تنظيم دورات توعوية وتدريبية مناسبة للأفراد العاملين في القطاع القانوني، ووضع ترتيبات فنية معينة في ما يتعلق بتوقيت ومكان وأسلوب عقد جلسات الاستماع، إلى جانب تقديم المساعدة القانونية الكافية.

الاستجابة لظاهرة العنف الجنسي: عناصر النهج المتبع في اللجنة الدولية

من هذا المنطلق، تواصل اللجنة الدولية التزامها بمنع ارتكاب العنف الجنسي في أثناء النزاعات المسلحة والاستجابة لهذه الظاهرة، ونحن على أتم استعداد لمساعدة الدول في تطبيق هذه المعايير الدولية على المستوى الوطني.[7] وفي العمليات التي نباشرها، تعرض إستراتيجية اللجنة الدولية إزاء العنف الجنسي 2018–2022 المبادئ الأساسية التي توجه النهج المتبع إزاء هذه القضية. وتتضمن مبدأ «عدم إلحاق الضرر»، وعبء الإثبات المعكوس الذي نفترض بموجبه أن العنف الجنسي يحدث في سياقات النزاعات المسلحة إلا إذا ثبت خلاف ذلك، والالتزام بتوفير استجابة متعددة التخصصات وشاملة ونهج متعدد الجوانب للتعامل مع العنف الجنسي.

ويسعى النهج متعدد الجوانب خصوصًا إلى مراعاة الطرق المعقدة التي يمكن أن تتداخل فيها عوامل مختلفة - من بينها النوع الاجتماعي، والعرق، والطبقة، والأصل الاثني، والإعاقة، والجنسية، والدين، ووضع المهاجرين، والتوجه الجنسي وغيرها - وتجتمع لتؤثر في مدى احتمالية التعرض لهذه الجريمة، واحتياجات الضحايا، والقدرات والخبرات المطلوبة لمواجهة العنف الجنسي. وهذا التقييم ضروري لضمان تصميم وتنفيذ الخدمات المقدمة لضحايا العنف الجنسي - فضلًا عن الأنشطة الرامية إلى التخفيف من حدة المخاطر - بطريقة تجعلها متاحة لجميع الضحايا.

**

لن أنسى تجربتي التي مررت بها في أثناء مهمة ميدانية للجنة الدولية، إذ توليت شرح بعض التطورات القانونية المذكورة أعلاه لنساء ناجيات من العنف الجنسي. لقد لمست شعورهن بالارتياح («ما حدث لي غير مقبول وتداولت محكمة في هذا الأمر!») وإحساسهن بالكرامة النابعة من الأمل بأن هذه التطورات ستحدث فارقًا في حياة نساء أخريات، وتأثرت بهن بشدة. لقد قطعنا شوطًا طويلًا، ورغم أنه ما زال هناك الكثير لإنجازه، إلا أن شجاعة دكتور موكويغي ونادية مراد والتزامهما بالقضية برهان يثبت لنا أن بالإمكان قهر الصعاب. إننا الآن في أمس الحاجة لجهودهما والجهود التي يبذلها كثيرون غيرهما حول العالم لمنع وقوع جرائم العنف الجنسي أكثر من أي وقت مضى، ويجب أن نواصل تكريس أنفسنا لحماية الإنسانية في أوقات الحرب ■

ICRC

(1) ICTY, Furundzija (Trial Chamber), Case no. IT–95–17/1, Judgment, 10 December 1998.
(2) ICTY, Kunarac (Trial Chamber), Case no. IT–96–23 & 23/1, Judgment, 22 February 2001, para. 782.
(3) ICTR, Akayesu (Trial Chamber) Case no. ICTR–94–4–T, Judgment, 2 September 1998, para. 731.
(4) ICTY, Kunarac (Appeals Chamber), Case no. IT–96–23 & 23/1, Judgment, 12 June 2002, para.150; ICTY,Delalić (Trial Chamber) (Celebici Case), Case No. IT–96–21, Judgment, 16 November 1998, para. 495.
(5) ICC, Ntaganda (Appeal Chamber), Case no. ICC–01/04–02/06, Decision on the Jurisdiction of the Court in Respect of Counts 6 and 9, 15 June 2017.
(6) القاعدة 158 الدراسة حول القانون الدولي الإنساني العرفي : «تحقق الدول في جرائم الحرب التي يزعم أنها ارتكبت على يد مواطنيها أو قواتها المسلحة، أو على أراضيها، وتحاكم المشتبه بهم عند الاقتضاء. وتحقق أيضًا في جرائم الحرب الأخرى التي تقع في نطاق اختصاصها وتحاكم المشتبه بهم عند الاقتضاء».
(7) تقدم وحدة الخدمات الاستشارية في مجال القانون الدولي الإنساني باللجنة الدولية المشورة الفنية للدول في ما يتعلق بتدابير التنفيذ على المستوى الوطني.

نُشر هذا المقال بالإنجليزية في مدونة «القانون الإنساني والسياسات»، وهي إصدار تابع لـ«المجلة الدولية للصليب الأحمر»، وقد نقل أحمد سمير النص إلى اللغة العربية.

تقول الطبيبة سندي: «لقد عانيت مع الأشخاص الذين يعيشون النزاعات، ولكنني لا أريد أن أشعر بالألم وحسب، بل أمنعه وأرفعه عن الآخرين كذلك. أريد أن أقدم لهؤلاء شيئًا...»

هكذا تبدو الأمور

الرجال يصنعون الحروب والنساء يعانين من ويلاتها

تعيش النساء مع عواقب الحروب ويتفاعلن معها، لكنهن لسن أولئك الضحايا اللاتي ينتظرن قدوم أحد لإنقاذهن. النساء في الحرب: يحزن، ويصارعن الحياة القاسية، في كثير من الحالات تُجبر النساء على التغاضي عن آلامهن وحزنهن والعمل من جديد تحديًا لواقعهن، ليصنعن عالمًا جديدًا.

تعاونت اللجنة الدولية للصليب الأحمر مع المجلة الرائدة وذائعة الصيت عالميًّا «ناشيونال جيوغرافيك» (National Geographic) لإنتاج قصة مصورة تلقي فيها نظرة عن كثب على تفاعل المرأة مع النزاعات في المجتمعات التي تعيش بها وكيفية معالجة الاضطراب الواقع على أسرتها وحياتها وعملها نتيجة الحرب.

في هذا المشروع، «النساء والحرب»، تمكن المصور النيوزيلندي الموهوب روبن هاموند (Robin Hammond) من أن يساعدنا بلقطاته على كسر الصورة النمطية عن «النساء كضحية». من خلال الصور والقصص استكشفنا الأدوار المتعددة والمعقدة والمتضاربة في بعض الأحيان التي تلعبها النساء في النزاعات: مقاتلات، وعاملات في المجال الإنساني، وأمهات، وبنات، وعاملات، وقادة مجتمع وناجيات.

تقول ماري فيرنتز، نائبة مدير العمليات في اللجنة الدولية للصليب الأحمر: «النساء رائدات التغيير، فهن مصدر رئيس للاستقرار في المناطق المتأثرة بالنزاعات. وهن لا يجمعن فقط عائلاتهن، وإنما هن قادرات أيضًا على تجميع مجتمعاتهن».

زار مصور «ناشيونال جيوغرافيك» روبن هاموند بلدًا يعرف حربه جيدًا وهو العراق بالإضافة إلى بلدان أخرى تعاني من الحروب والنزاعات إلا أنها لا تتصدر عناوين الصحف العالمية، في الفلبين وجنوب نيجيريا. وزار أيضًا البيرو لتوثيق ندوب قديمة لم تلتئم بعد، رغم انتهاء صوت مدافع الحرب. في هذا المشروع، نرى الهويات المتعددة التي تتخذها النساء من خلال سلسلة من الصور، بعضها صور في البيئة الطبيعية للنساء وبعضها الآخر في الاستديوهات. لكل صورة خلفية مختلفة وفق الموضوع، لتحدي العلامات البسيطة التي نعلقها على النساء في الحرب، وتوضيح دور التصوير الفوتوغرافي لتوفير إجابات فريدة لقضايا معقدة.

أن تكوني امرأة في هذا النزاع يعني أن تكوني صامدة

أمام بطانيتها، وداخل غرفتها بالمستشفى، حيث تنام حين تكون في مناوبة متأهبة للاستدعاء، تقف هوزان بديع سندي، 25 عامًا، الطبيبة والمتدربة بالصف الثاني. وقضت هوزان معظم حياتها في الحروب. واستقبل مستشفى غرب أربيل للطوارئ (روزهاوا)، في كردستان العراق، المئات من الجرحى والمصابين في النزاع بالموصل. وتدعم اللجنة الدولية للصليب الأحمر مستشفى روزهاوا وغيره، خصوصًا فيما يتصل بعلاج المصابين في النزاع. تقول: «لقد عانيت مع الأشخاص الذين يعيشون النزاعات، ولكنني لا أريد أن أشعر بالألم وحسب، بل أمنعه وأرفعه عن الآخرين كذلك. أريد أن أقدم لهؤلاء شيئًا، ولكن لا أستطيع للأسف؛ أحيانًا تشعر أنه ليس بيدك حيلة. ربما أستطيع كامرأة أن أقدم لهم دعمًا عاطفيًّا، وأن أخبرهم أنني أتفهم ما يمرون به إلى حد ما. ربما صارت روحي حزينة أكثر بسبب كوني امرأة، ولكن هكذا تسير الأمور. أن تكون امرأة في خضم ذلك النزاع هو أمر لا تصفه الكلمات، فالمرأة في تلك الحالة تحاول جاهدة البقاء

تقول كالديرون: أنا أدين بحياتي للنسوة اللاتي قلن لي «أنت لست من تظنين، ولست من يقول الناس، فهم لا يعلمون. أنت امرأة ومقاتلة، وعليك متابعة القتال؛ عليك مواجهة تلك الأمور»

ومساعدة الآخرين على البقاء. لذا، فالفكرة الأساسية هي أن المرأة في وسط النزاع مطلوب منها أن تكون صامدة، وأن تعمل جاهدة بشكل يومي، وأن تحيد الموقف. أريد للأجيال القادمة أن تعي ذلك لئلا يتكرر النزاع».

كنت ضحية... فأصبحت مقاتلة في سبيل العدالة

ديونيسيا كالديرون تبيع الفاكهة والبطاطا بقريتها موروتشوكوس، بأياكوتشو، في بيرو. وقد عانت ذات الـ54 عامًا من العديد من الخسائر أثناء النزاع المسلح الذي أحل العنف والمعاناة بالمنطقة. فقد اختفى زوج ديونيسيا الأول دون أثر، فيما انتزع منها الثاني وتعرض لتعذيب شديد قبل أن يلقى حتفه جراء الجروح الناجمة عن ذلك. وعبرت ديونيسيا عن رفضها للصمت تجاه الظلم الذي تعرضت له وعائلتها بأن أصبحت ممثلة للنساء اللائي تعرضن للإساءة الجنسية خلال النزاع.

تقول ديونيسيا، «اعتدت أن أسأل نفسي لماذا خلقت امرأة لا رجلًا؟ نحن النسوة عانينا الكثير من الجنود و«الطريق المضيء». كان تحمل كل ذلك العنف أمرًا صعبًا. لقد تعرضنا للتهميش وانتقدنا على ما مررنا به. شعرت بالسوء. أنا أدين بحياتي للنسوة اللاتي قلن لي «أنت لست من تظنين، ولست من يقول الناس، فهم لا يعلمون. أنت امرأة ومقاتلة، وعليك متابعة القتال؛ عليك مواجهة تلك الأمور». لقد كنت ضحية للنزاع الداخلي المسلح، ثم صرت أقاتل في سبيل العدالة والحق» ■

المشروع متاح بالعربية على موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر

https://www.icrc.org/ar/document/women-war

وبالإنجليزية على موقع مجلة «ناشيونال جيوغرافيك»

https://www.nationalgeographic.com/culture/10/2018/women-war-conflict-nigeria-peru-iraq-philippines-international-day-of-girl/

ICRC

ICRC

الروبوتات القاتلة...

الآلة عندما تشن الحرب

ICRC

في الفترة الحالية، يدور نقاش محتدم حول الضوابط الواجب توفرها في الأسلحة ذاتية التشغيل، وهي منظومات أسلحة متطورة ربما تكون هي وحدها من تتخذ القرارات العسكرية الحاسمة في ساحة القتال. هذا المقال يحلل الأبعاد القانونية لواحد من أهم أنواع هذه الأسلحة وهو الروبوتات القاتلة.

العشعاش إسحاق*

الروبوتات القاتلة كاصطلاح إعلامي أو منظومات الأسلحة الفتاكة ذاتية التشغيل، انسياقًا لما شاع ودرُج ضمن مناقشات فريق الخبراء الحكوميين في «**اتفاقية حظر أو تقييد استعمال أسلحة تقليدية معينة يمكن اعتبارها مفرطة الضرر أو عشوائية الأثر**» يمكن اعتبار أنها الأسلحة مفرطة الضرر أو عشوائية الأثر، وهي قادرة على اختيار الأهداف وتعقُّبها والحكم ثم استخدام القوة وتعطيلها أو تدميرها دون تدخل إضافي من قبل البشر**. فماذا يعني هذا حقًّا!

يقول الفيلسوف والفقيه القانوني «ليبنتز» إن معظم الخلافات العلمية ترجع إلى خلاف حول معنى الألفاظ ودلالاتها. بالفعل، فقد ظهر جدال حاد بين من هو مؤيد لحظر استباقي لهذه الأسلحة وبين من يدعو إلى تقييد استخدامها وتنظيمها دون الحاجة إلى صكٍّ قانوني جديد. غير أن مسألة جوهرية أخرى غالبًا ما يتغاضى عنها بعض أطراف النقاش – وهذا إغفال مثير للإزعاج – وهي إشكالية المفهوم والتعريف الدقيق الذي يُحدِّد الخصائص. والحقيقة أنَّ ذلك يُعد أكبر عقبة تقف في سبيل إيجاد حلٍّ جذري للمسألة.

التحكم البشري أم ذكاء الآلة؟

من البديهي الاتفاق على أن منظومات الأسلحة الفتاكة ذاتية التشغيل كما هو مفهوم، هي في الحقيقة برامج حاسوبية تختزل عددًا هائلًا من الخوارزميات والتعليمات التي تجسِّد عمليات اتخاذ القرار لتنفِّذها الآلة والتي يُحدِّدها البشر في نهاية المطاف، بيد أن مُعظم مخاوف المناهضين لها تندرج ضمن ما أصبح يُعرف اليوم بالذكاء الاصطناعي الخارق والتعلُّم العميق، وهو أعلى درجات الاستقلالية التي تُحدِّد نسبة مُساهمة البشر في استخدام القوة، هذه الأخيرة قد تسمح للآلة بابتكار وخلق قرارات لم تبرمج من قبل، إمَّا لتغيُّر المُحيط أو نتيجة التعلُّم والتطوير الذاتي عن طريق برامج المُحاكاة والتجربة، وبالتالي فإن مُخرجات منظومة الأسلحة لا تُتيح التنبُّؤ ولا تضمن موثوقيةً مواءمة حجم الأخطار التي قد تُحدثها.

فقد صادف أن عالجت محكمة العدل الدولية إحدى الوقائع يوم 3 يوليو سنة 1988 حين كان طرَّاد أمريكي – يُطلق عليه اسم «**الطرَّاد الروبوتي**» – يجوب الخليج العربي حيث كان يشتغل بنظام «إيجيس» Aegis وهو نظام حاسوبي يشتمل على أربعة أوضاع، من بينها الوضع العفوي حيث يُنفِّذ النظام ما يراه الأفضل في الهجوم والدفاع، وحدث أن رصد رحلة الخطوط الجوية الإيرانية رقم 655 وهي طائرة مدنية من طراز «إيرباص» تبث إشارات لاسلكية تُشير إلى أنها طائرة مدنية، غير أنَّ النظام كان مُصمَّمًا لإدارة المعارك ضدَّ القاذفات السوفيتية في أعالي بحر الشمال، وليس للتعامل مع أجواء مكتظة في الخليج، وقد تمَّ تكييفها على أنها مُقاتلة من طراز F–14 وبالتالي عدُوٌّ مُفترض، لكن الطاقم البشري لم يرغب بالتشكيك في قدرة الروبوت، وتركوا له القرار بإطلاق النَّار، وكانت النتيجة تدمير الطائرة، ما أسفر عن مقتل جميع الرُّكَّاب والطاقم الذين بلغ عددهم 290 فردًا منهم 66 طفلًا، واكتفت المحكمة بالحكم بتعويضٍ لصالح جمهورية إيران الإسلامية***.

فلا ينبغي إذن الاقتصار على تحديد درجة مُشاركة البشر في اتخاذ القرار بقدر ما يتعيَّن

* باحث جزائري في القانون الدولي يُعد الآن أطروحة الدكتوراه حول الروبوتات القاتلة.

والحاجة إلى سيطرة بشرية هادفة

معرفة درجة ذكاء الآلة، فالقائم على برمجة النظام يبذل كُلَّ جُهد لضمان مُراعاة قواعد الاشتباك في سبيل قصر الهجمات على الأهداف المشروعة وتقليل الأضرار الجانبية وتجنُّب العشوائية، وبالتالي السعي إلى تركيب الأخلاق في الآلة وبرمجة حاكم أخلاقي يُثبِّطُ تصرُّفاتها، والتقيُّد دائمًا بـصياغة الأوامر بالشكل الصحيح في الزمن والمكان المُناسبين، وبالنقيض من ذلك فإن ذكاء الآلة قد يبلغ مبلغ الاستقلالية التامة في الأداء، بمعنى آخر فإن التعليمات المُبرمجة من المُستبعد أن تكون دقيقة حسب كُل احتمال بل يكتفي البشر بوضع القواعد الأساسية والحدود غير المسموح بتجاوزها، لترك الآلة تتخذ ما تراه الأفضل لتحقيق الميزة العسكرية المُحدَّدة.

فمُنفِّذ الهجمات من البشر سواء كان المُبرمج أو المُشغِّل تبقى له القدرة على إيقاف أو تعليق الهجوم إذا تغيرت الظروف أو شُحَّت المعلومات، أي البقاء على الحلقة (A human–on–the–loop weapon) والإشراف على المراحل، وهذا بتحقُّق شرط المعرفة الفعلية المُسبقة لآثار الهجوم غير أن ذلك قد لا يكون مُتاحًا في كُلِّ الأحوال، فالغاية من وجود الآلة هي الدقة واتخاذ القرارات في ظرف زمني فائق السرعة على خلاف مقدرة البشر، وإلا لما كانت الحاجة إلى أسلحة «غبيَّة» صمَّاء، فالإنسان لا يستطيع الاستجابة لكُلِّ السيناريوهات. فيما تنصرف منظومات الأسلحة المُستقلة تمامًا إلى ما دون الحاجة إلى تدخُّل بشري إضافي (Human Out of the Loop) أي المقدرة على تحقيق الغرض من الهجوم بأفضل الطُرق المُمكنة دون إشراف البشر، وفي هذه الحالة فإن ثمة شكوكًا حقيقية حول قدرة الآلة على الامتثال الكُلِّي لقواعد سير العمليات العدائية نظرًا لارتباط أغلبها بالكيان البشري والضمير الإنساني.

يُستنتج ممَّا سبق، أن عبارة منظومات الأسلحة الفتاكة ذاتية التشغيل غير جديرة بالتأييد، فهي لفظ مُبهم وغير مرن ويذهب إلى حدِّ الغموض والالتباس، فهنالك بعض الأسلحة لها من الوظائف ما يجعلها ذاتية في التشغيل مثل الصواريخ المُتتبِّعة والألغام، غير أنَّها ليست مُستقلة بالكامل على النحو الذي جرى إبرازه، كما أنه من المُفيد الاستغناء عن صفة الفتك، وهذا بالرجوع إلى اعتبارين، يتعلقان باقترانها بمؤدَّاها للموت المُحتَّم، فإن كان الأمر كذلك، فهي أسلحة مُحرَّمة بامتياز استنادًا للقيود الواردة على اختيار الأسلحة التي تُحدث إصابات وآلامًا لا مُبرر لها، كما قد يتولَّدُ إغفال لمخاطر الأسلحة التي تقلُّ فتكًا بينما تكون أكثر ضراوة في إحداث ضرر على البيئة والأعيان المحمية دون الموت، وبمفهوم المخالفة الذي يقودنا إلى الاعتبار الثاني، فإن الأسلحة غير الفتاكة أيضًا قد تتسببُ في الموت إذا ما استُخدمت بطريقة عشوائية أو لظروف معينة، فالخوض إذن في درجة الفتك قد لا يكون مُفيدًا.

وبالنتيجة فإن العبارة الموائمة قد تكون «منظومات الأسلحة المُستقلة بالكامل» (Fully Autonomous Weapons Systems) ما تدل على الجزالة والوقار في اللفظ ودلالته القطعية باستقلالية السلاح، فهو بذلك مدلول شائع في جنسه ويكون مُطلقًا على هذه الأسلحة ما لم يقترن به قيد مثل (شبه المستقلة)، وبالتالي فإن الدقة في هذا المُصطلح بلغت درجة يتعذَّر معها إساءة فهمه أو الانحراف بمدلوله. •••

REUTERS

هل تمتثل الآلة بشكل كلي فعلًا لقواعد سير العمليات العدائية نظرًا لارتباط أغلبها بالكيان البشري والضمير الإنساني

كما أن هذا الرأي يتفق بالكامل مع ما تُنادي به الأطراف المُناهضة التي تدعو إلى حظر استباقي لهذه الأسلحة وضرورة الإبقاء على التحكم البشري الهادف أو المُناسب أو ذي المغزى. فما المقصود به؟

لا بديل عن مسؤولية البشر

من البائن أن النظام القانوني لقيام المسؤولية الجنائية الدولية بشكله الحالي يستحيل انطباقه في حالة استخدام منظومات الأسلحة المُستقلة تمامًا، فحتى لو مُنحت الآلة شخصية قانونية افتراضية تمكّنها من تحمُّل المسؤولية واكتساب الحقوق، فلن يكون هذا طائعًا نظرًا لخصوصية المُساءلة عند ارتكاب جرائم الحرب، فلا بُدَّ من توافر عنصرين وهما العمل الإجرامي (Actus reus) والقصد الجنائي (Mens rea). بمعنى آخر، فالمسؤولية المُباشرة أو التي تقع على عاتق الشخص الذي يسحب الزناد ويُطلق النار لن تتحقَّق إلَّا بتوفر ثلاثة شروط، يتعلق الأول بالقصد الجنائي للروبوت، ثم ضرورة تعديل النطاق الشخصي للمحاكم الجنائية الدولية وإضفاء الشرعية، وثالثًا مُعاقبة مُرتكب الجريمة أو الروبوت الفاقد للإحساس والإدراك والندم على الأفعال. ثم إن المسؤولية غير المُباشرة أو ما يُعرف بمسؤولية القائد العسكري الذي يتحمل مسؤولية ما ارتكبه من يأتمرون بأمره بفعل منصبه القيادي الذي يمنحه السيطرة الفعلية، سواء كان بعدم اتخاذه الإجراءات اللازمة أو المعقولة لمنع أو تجنب وقوع الفعل المُجرَّم، ما إن علم أو كان من المُفترض أن يعلم، تلك المسؤولية أيضًا سيكون من الصعب تطبيقها لوجوب توفُّر أربعة شروط تشمل وقوع الجريمة بأركانها كافة، بما في ذلك الركن المعنوي، ثم المعرفة الفعلية أو الحقيقية لوقوع الجريمة التي تتطلَّب بدورها معرفة ما سيوشك أن يقع، ثم منعه، ومُعاقبة الروبوت. وهذا قد لا يكون مُتاحًا في منظومات مُستقلة تمامًا، لا سيما وأنها تستبعد السيطرة الفعلية والقدرة المادية لمنع السلوك الإجرامي عن طريق إلغاء الهجوم.

بالموازاة مع ذلك، فإن المسؤولية المدنية أو مسؤولية المُصنِّع والمُبرمج أيضًا يصعُبُ انطباقها، فالضحايا مُطالبون بإثبات الخطأ والضرر والعلاقة السببية في تشغيل وبرمجة الروبوت، أو إثبات الإهمال الذي وقع أثناء أداء واجب إدارة الخطر والحادث المُتوقَّع أو غير المُتوقَّع، وفي كلتا الحالتين فإن مُعوقات أخرى تقنية وإجرائية تزيد من محدوديتها، ليس أقلَّها أن الحكومات المالكة لتلك التكنولوجيا تُبقي أفراد جيشها والمتعاقدين معه محصَّنين إلى حدٍّ كبير من الدعاوى المدنية، ومثال ذلك القانون الأميركي، فقد سبق أن منعت الإدارة الأميركية ورثة ضحايا الرحلة الجوية 655 من مُقاضاة الحكومة بسبب الحصانة السياسية للمُقاتلين.

لهذا الغرض تُطالب المنظمات غير الحكومية على الأخص بإبقاء سيطرة بشرية هادفة على منظومات الأسلحة، ويعني هذا اتخاذ التدابير اللازمة التي من شأنها ضمان تنفيذ الآلة للمهام وفقًا لقصد القائد والحفاظ على الموثوقية والشفافية وإمكانية التنبؤ بالنتيجة المنشودة والقدرة على التدخل ضمن الوظائف الحرجة في اختيار الأهداف ومُشاركتها في الوقت المُناسب وفهم المسارات واحترام القيود القانونية بما يُتيح في الأخير تحميل القائد المسؤولية عن أي انتهاك قد يحدُث.

نحو إطار قانوني لحظر الروبوتات القاتلة

إن القانون الدولي الإنساني سريع التطور والاستجابة، لكن غالبًا ما يكون هذا بعد فوات الأوان لتلك الكوارث الإنسانية وقلَّما يستبقها. بالفعل، فإن هنالك بعض السوابق التاريخية التي تؤكِّدُ على أن الحظر الاستباقي أمر مُمكن، ومثالها حظر أسلحة الليزر المُسبِّبة للعمى.

أما بخصوص منظومات الأسلحة المُستقلة، فقد أكَّد التقرير النهائي لفريق الخبراء على أنه من غير المقبول استبعاد البشر أثناء تطبيق القوة المُميتة، ما يُفهمُ ضمنيًّا على حظرها. بيد أن بعضًا من الدول المالكة للتكنولوجيا تتخذ مواقف رافضة لأي صك قانوني جديد وتدعو إلى إصدار مدونة سلوك أو إعلان سياسي لا قيمة قانونية لهما. وفي الحقيقة فإن الحظر الاستباقي لا يمنع مزيدًا من تقييد هذه التكنولوجيا وفقًا لمُتطلَّبات المادة 36 من البروتوكول الإضافي الأول لاتفاقيات جنيف.

ومن الواضح أن عدد المُناهضين لهذه الأسلحة يزداد يومًا بعد يوم ما يُنبئ عن أن حظرها لم يعُد سوى مسألة وقت، لكن قبل ذلك على الدُّول أن تُجيب على أسئلة صعبة لا يُمكن إغفالها، فذلك لن يُقدِّم شيئًا تجاه التحدِّيات الناشئة التي تفرضها التكنولوجيا. فمن غير اليسير الجزم بأن هذه المنظومات من الأسلحة قد تُقلِّلُ وقوع الخسائر والانتهاكات إلى الحدِّ الأدنى في مُقابل حماقات البشر، ومن الصَّعب كذلك الإنكار ■

الأسلحة ذاتية التشغيل هي برامج حاسوبية تختزل عددًا هائلًا من الخوارزميات والتعليمات التي تجسِّد عمليات اتخاذ القرار التي يحددها البشر وتنفِّذها الآلة

REUTERS

تقرير عن القانون الدولي الإنساني وتحديات النزاعات المسلحة المعاصرة، اللجنة الدولية للصليب الأحمر، 31 تشرين الأول/ أكتوبر 2015، الرابط:
https://www.icrc.org/ar/document/international-humanitarian-law-and-challenges-contemporary-armed-conflicts
نص القضية على موقع محكمة العدل الدولية:
Aerial Incident of 3 July 1988 (Islamic Republic of Iran v. United States of America), link: https://www.icj-cij.org/en/case/79

ورشة عمل غير عادية في أبو ظبي:

عسكريون كبار يناقشون تحديات الامتثال لقواعد الحرب

شكلت الدورة الأخيرة لـ«ورشة عمل كبار القادة بشأن القواعد الدولية التي تحكم العمليات العسكرية» (تُعرف باسم سويرمو) نقطة تحول لهذه الورشة المهمة، سواء من ناحية عدد المشاركين، أو تنوع البلدان التي ينتمون إليها، ومنها بلدان تنخرط في نزاعات مسلحة، أو على مستوى القضايا العسكرية التي طُرحت، فضلًا عن مشاركة اللغة العربية في هذه الفعالية المهمة

ICRC

أحرزت الدورة الأخيرة من لقاء رفيع المستوى تنظمه سنويًّا اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ويجمع قادة عسكريين للحوار حول تطبيق القانون الدولي الإنساني، نجاحًا ملموسًا على صعيد حجم المشاركة الكبير، وتنوع الخلفيات الجغرافية للعسكريين المشاركين، علاوة على إضافة اللغة العربية إلى اللغات الأخرى المعتمدة في هذا المحفل الدولي وهي الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والروسية.

وشارك أكثر من 120 من الضباط العسكريين ذوي الرتب العليا، ينتمون إلى 83 دولة، في ورشة عمل كبار القادة العسكريين (سويرمو) التي استضافتها العاصمة الإماراتية أبو ظبي في الفترة من 20 إلى 25 تشرين الأول/ أكتوبر الماضي. وهذه هي الورشة الثانية عشرة في الترتيب، وهي الأولى التي تُعقد في منطقة الشرق الأوسط، لكنها الثانية في العالم العربي، إذ احتضنت الجزائر نسختها التاسعة في العام 2015.

وسويرمو هي اختصار لـ «ورشة عمل كبار القادة بشأن القواعد الدولية التي تحكم العمليات العسكرية» (Senior Workshop on International Rules Governing Military Operations). وقد اكتسبت أهمية بالغة على مر السنوات، وذلك لأنها تمثل فرصة كبيرة للجنة الدولية لطرح رؤاها في المواضيع المختلفة والمعاصرة التي تتعلق بالنزاعات المسلحة والعنف المسلح، فضلًا عن استعراض الأنشطة الأخرى ذات الصلة التي تضطلع بها اللجنة الدولية في مجال دراسة وتطوير القانون الدولي الإنساني.

وقال مؤمن حسن، وهو مندوب اللجنة الدولية لدى القوات المسلحة والشرطة المصرية في بعثتها بالقاهرة، الذي تولى إدارة جلسة ورشة عمل سويرمو باللغة العربية: «**مثلت هذه الورشة لحظة تغير حقيقية. سواء في الأعداد المشاركة أو الدول التي ينتمون إليها. كما أن إضافة فصل دراسي باللغة العربية، للمرة الأولى في تاريخها، طورها عربيًّا، نظرًا لأن ربع المشاركين في الدورة تقريبًا ينتمون إلى دول عربية**».

وأضاف حسن لـ «الإنساني»: «**هناك منفعة متبادلة من سويرمو، فهي تتيح للجنة الدولية أن تعرض وجهات نظرها أمام نخبة من الضباط العسكريين تجاه القضايا المتنوعة التي تمس تطبيق القانون الدولي الإنساني، ومن ناحية أخرى تتيح الورشة للعسكريين المشاركين تعزيز فهمهم بالقوانين التي تحكم العمليات العسكرية، والنظر إلى القانون الدولي الإنساني حينما يُتخذ القرار خلال عمليات القتال وإنفاذ القانون**».

وساهمت ورشة هذا العام في تبادل المعرفة والخبرات بين المشاركين، خاصة وأن المشاركين من كبار الضباط، وبعضهم يتمتع بخبرة عملياتية كبيرة اكتسبها من خلال عمليات عسكرية فعلية، منها لا يزال قائمًا حتى الآن. كما حرصت الورشة على تزويد الضباط بالمفاهيم اللازمة والخبرات الواقعية وطرح أفضل الممارسات المستقاة من الميدان لتعزيز الامتثال للقوانين التي تحكم العمليات العسكرية، والتركيز على ربط القانون الدولي الإنساني بعملية صنع القرار خلال عمليات القتال وإنفاذ القانون.

وكان لافتًا في ورشة هذا العام، أن المشاركين ركزوا على مناقشة التحديات المختلفة التي تواجه ربط القانون الدولي الإنساني بعملية صنع القرار العسكري في الميدان. كما بدا الاهتمام واضحًا بالتعرف عن كثب إلى دور اللجنة الدولية في التأثير على سلوك كل من القوات المسلحة والجماعات المسلحة من غير الدول خلال النزاعات المسلحة المختلفة. وتتمتع اللجنة الدولية بتاريخ عريض من التواصل مع القوات المسلحة الحكومية والجماعات المسلحة من غير الدول، وذلك في إطار جهود مستمرة تبذلها بهدف تعزيز احترام قواعد القانون الدولي الإنساني ■

زيارة عائلية

إليونا سينينكو*

ICRC

أقرباء المعتقلين ينتظرون عبور الحاجز. يحتاج الفلسطينيون إلى تصاريح عبور للدخول إلى إسرائيل، وقد يستغرق ذلك عدة ساعات في الأيام الحافلة التي يذهب خلالها مئات الأفراد لزيارة السجون.

ICRC

تُنظم عمليات نقل خاصة في سيارات الإسعاف للزوَّار الذين لا يسمح وضعهم الصحي لهم بالتنقل في الحافلة.

ICRC

* Alyona Synenko موظفة في بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في الأراضي الفلسطينية المحتلة

ICRC

ICRC

رسالة معتقل إلى والدته.

التصريح

، بطاقة الهوية، النقود... تستيقظ قبل الفجر مرة كل شهر، وفي تلك الليلة لا تتمكن من النوم أصلًا وهي تحاول استذكار بنود القائمة التي حفظتها داخل رأسها. هي تعرف جيدًا الأمور التي ينبغي عليها إحضارها وما يجب عليها فعله، إلا أن مشاعرها تتغلب عليها فتخشى دائمًا أن تنسى شيئًا، إذ قد يعني ذلك عدم التمكن من إتمام الزيارة وهي لن تستطيع أن تسامح نفسها إن حصل ذلك. خمسٌ وأربعون دقيقة هي أغلى ما تملك، فهي تتوق إليها وتخشاها في آنٍ واحدٍ.

لا تزال السماء مظلمة لحظة وصولها إلى الشارع حيث تنتظر الحافلات الركاب. ترى هناك العديد من الوجوه المألوفة وبعض الوجوه الجديدة. يصبُّ سائقو الحافلات القهوة في أكواب ورقية صغيرة بينما يشتري الركَّاب الطعام، فأمامهم رحلة مرهقة تستمر اثنتي عشرة ساعة: حافلة فلسطينية وأخرى إسرائيلية متعاقبتان وساعات طويلة من الانتظار على الحاجز، ناهيك عن عملية التفتيش القاسية التي يمرُّون بها قبل دخولهم إلى السجن.

في الطريق إلى السجن، تحاول تذكير نفسها بجميع الأمور التي ينبغي أن تخبره إياها عبر الهاتف ومن خلال الفاصل الزجاجي: أخبار العائلة والقيل والقال في الحي وكم هم يشتاقون إليه. ثم يلي ذلك شهر جديد من الانتظار، فيكون الغياب كفجوة متسعة تحاول سدَّها بحفنة من الذكريات والثياب القديمة والكتب والرسائل والصور.

تقلُّ حافلات اللجنة الدولية للصليب الأحمر كل عام ما يزيد على مئة ألف شخص من الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية لزيارة أقربائهم المعتقلين في إسرائيل. وراء تلك الأرقام أشخاص، ولكل منهم قصة عمَّا يعنيه غياب شخص عزيز عنهم.

إبقاء التواصل مع أفراد العائلة حاجةٌ إنسانيةٌ أساسيةٌ وحقٌّ ممنوحٌ للمعتقلين بموجب القانون الدولي الإنساني. وقد مضى على برنامج الزيارات العائلية الذي تنفِّذه اللجنة الدولية خمسون عامًا نظَّمت خلالها زيارات العائلات الفلسطينية لأحبائها المعتقلين في مراكز الاحتجاز الإسرائيلية، بما يعنيه ذلك من تسهيل استصدار التصاريح وتنظيم المواصلات ومساعدة المعتقلين على تبادل الأخبار مع أقربائهم من خلال رسائل الصليب الأحمر. وقد تمكنت اللجنة الدولية من تيسير أكثر من 3.5 مليون زيارة عائلية منذ عام 1968 ■

ICRC

«لقد أحضرت ابنتنا حديثة الولادة لإحدى الزيارات وأريتها لزوجي من خلف الزجاج، وقد كانت المرة الوحيدة التي أراه يبكي فيها».

ICRC

ICRC

«أنا أحتفظ بجميع ثيابه ورسائله وبطانيته القديمة»

عصام الدين محمد من مصر يتحدث عن عمله:

«يوم في حياة اللجنة الدولية للصليب الأحمر» هي سلسلة حوارات مع العاملين في بعثات اللجنة الدولية للصليب الأحمر حول العالم. نتعرف فيها عن قرب على ظروف العمل الإنساني في أماكن مختلفة من العالم، والتحديات التي يواجهها العاملون في اللجنة الدولية.

نلتقي في هذا الحوار مع عصام الدين محمد، 60 عامًا، الذي تقاعد بعد أن أمضى عشرين عامًا في بعثة اللجنة الدولية في القاهرة. تنقل عصام في عدة وظائف داخل البعثة، ثم استقر في وظيفة إعداد وثائق السفر الخاصة باللاجئين.

■ **حدثنا عن نفسك قليلًا.**

اسمي عصام الدين محمد. أعمل ببعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالقاهرة منذ العام 1998، كان وقتها عدد العاملين في البعثة خمسة أو ستة موظفين. وكانت البعثة عبارة عن شقة صغيرة في ميدان فيني [في حي الدقي بالقاهرة]. كنت أعمل في برنامج إعادة الروابط العائلية وكان اختصاصي تحضير وثائق السفر الخاصة باللاجئين، أي مساعدة هؤلاء الذين دخلوا إلى البلاد بطريقة غير نظامية ولا يملكون أوراقًا. فكنا نقدم لهم وثيقة سفر بمثابة جواز سفر من القاهرة إلى الدولة التي سيهاجرون إليها. نشاط آخر نقوم به وهو الخاص باللاجئين المعتقلين في السجون، كنت أزور هؤلاء المسجونين الحاصلين على موافقة للسفر حتى يوقعوا على وثيقة السفر.

■ **هل كنت تعرف طبيعة الأنشطة التي تضطلع بها اللجنة الدولية قبل التحاقك بها؟**

لا. كانت لديَّ معلومات بسيطة للغاية عن اللجنة الدولية.

■ **كيف التحقت ببعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر بالقاهرة؟**

عن طريق أصدقاء يعملون بالبعثة، والتحقت للعمل معهم، وقتها كانت لديَّ فكرة بسيطة عن طبيعة عمل الصليب الأحمر، وبعدما بدأت العمل باللجنة عرفت الكثير عن أنشطة الصليب الأحمر.

■ **ما الوظائف السابقة التي عملت بها قبل عملك في الصليب الأحمر؟ وما الوظائف التي تدرجت فيها ببعثة الصليب الأحمر منذ عملك بها؟**

قبل عملي بالصليب الأحمر كنت أعمل في مجال تجارة السيارات، وبعد ذلك بدأت عملي في الصليب الأحمر. في البداية عملت كسائق لمدة سنة، وبعد ذلك انتقلت للعمل في برنامج «إعادة الروابط العائلية»، ثم أصبحت مسؤولًا عن صيانة السيارات ومسؤولًا عن السائقين، بعد ذلك بدأت أعداد اللاجئين الراغبين في السفر تزداد، فجرى اختياري للعمل في برنامج «إعادة الروابط العائلية». وقتها كانت بعثة القاهرة هي البعثة الثانية على مستوى بعثات الصليب الأحمر في إصدار وثائق السفر.

■ **احكِ لنا عن موقف إنساني أثر فيك؟**

بطبيعة عملي قمت بزيارة أماكن كثيرة، سجون ومستشفيات، وقمت أيضًا بزيارة مرضى في منازلهم لتسليمهم وثائق السفر الخاصة بهم. من أكثر المواقف التي أتذكرها كانت هناك فتاة إريترية قمت بإصدار وثيقة سفرها، وبعد خروجها سُرقت حقيبتها وبها وثيقة السفر التي تمثل حياتها كلها، أتت إلينا وهي منهارة، وكان يجب عليَّ تحرير محضر لعمل بدل فاقد، وتم إصدار وثيقة أخرى لها، لك أن تتخيل فرحتها.

■ **ما هي الخبرات التي اكتسبتها من العمل في الصليب الأحمر؟ سواء خبرات حياتية أو عملية؟**

أنا عملت في أماكن لم أكن أتصور أنني سأعمل بها في يوم من الأيام، كدخولي السجون على سبيل المثال، لم أكن أتوقع أني سأدخل السجون أو أتعامل مع لاجئين في السجون، كذلك ذهابي للمستشفيات لحالات صعبة جدًا، مثل حادث رفح، كل هذا يجعلني أكتسب أشياء مختلفة لأنني لم أمر بمثل هذه المواقف في السابق. أما على أرض الواقع، فعندما كنا في السلوم خلال الأزمة الليبية، كانت حياة عملية حيث تتعامل بشكل مباشر أكثر مع السلطات، وكان معنا معدات من الصليب الأحمر.

■ **ذكرت أنك عملت في الصليب الأحمر عن طريق أصدقاء منذ 20 سنة تقريبًا. اليوم وهو آخر يوم لك في البعثة ماذا تقول لهؤلاء الأصدقاء؟**

بالتأكيد سأشكرهم لأنهم جعلوني أساهم في عمل الخير من خلال وظيفتي.

■ **ما هو أصعب يوم مر عليك خلال عملك؟**

الأصعب هو اليوم (31 تشرين الأول/أكتوبر 2018) وغدًا لأنه آخر يوم عمل لي في الصليب الأحمر، لأنني أتممت 60 عامًا وتقاعدت، سأفتقد أشياء كثيرة وسأبدأ حياة أخرى ■

ICRC

كتاب

تاريخ اللجنة الدولية للصليب الأحمر في خمسة مجلدات

أتاحت اللجنة الدولية للصليب الأحمر خمسة مراجع أساسية تتناول تاريخها الطويل والثري في الميدان لفترة زمنية تتجاوز المئة عام. هنا نقدم إطلالة على هذه المراجع التي لا غنى عنها لأي دارس أو باحث في تاريخ النزاعات العسكرية وتطور القانون الدولي الإنساني

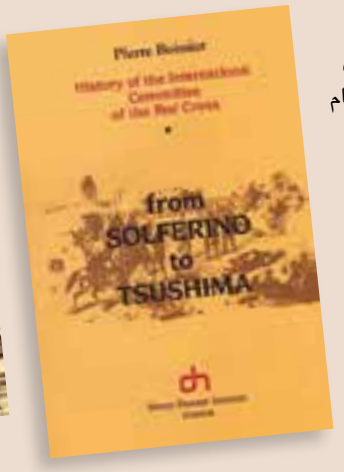

يتاح الآن للجمهور الاطلاع على خمسة مجلدات تاريخية بصيغة «بي دي إف» (PDF) تغطي الفترة الممتدة من العام 1863 إلى العام 1975. وهذه المجلدات الخمسة تقدم نظرة تحليلية للأنشطة الميدانية والقانونية التي اضطلعت بها اللجنة الدولية وأسهمت في المكانة المتميزة التي تحظى بها اليوم كمنظمة إنسانية محايدة ومستقلة. ويقول جان بيكتيه في تصديره للمجلد الثاني من هذا العمل الموسوعي: «إنه سجل منظمةٍ تحاول، على الرغم من عدم امتلاكها أدوات تحول دون اندلاع النزاعات المسلحة، أن تحدَّ من الأضرار الناجمة عنها وتحمي الأشخاص الذين كفوا عن المشاركة في القتال أو غير المشتركين في الأعمال العدائية».

المجلد الأول: من سولفرينو إلى تسوشيما (1859 - 1912). تأليف: بيير بواسييه - جنيف: مؤسسة هنري دونان، 1985. - 391 صفحة.

نشر هذا المجلد أولًا في عام 1963 احتفالًا بمرور مائة عام على تأسيس اللجنة الدولية، وهو يغطي تاريخ المنظمة للفترة الممتدة من عام 1859 إلى عام 1912 والتطور الذي شهده قانون الحرب منذ اتفاقية جنيف لعام 1864 حتى اتفاقية لاهاي العاشرة لعام 1907، عندما دارت رحى عدة معارك من سولفرينو (1859) حتى تسوشيما (1905). ويصف المؤلف العمليات الميدانية للجنة الدولية في وقت كان يرتفع فيه عدد جمعيات الإغاثة والنزاعات المسلحة، منها: الحرب الفرنسية البروسية 1870 والحرب الروسية التركية 1875 - 1878 والحرب الإسبانية الأميركية 1898.

المجلد الثاني: من سراييفو إلى هيروشيما (1911 - 1945). تأليف: أندريه دوران، جنيف: مؤسسة هنري دونان، 1948. 590 صفحة

يتناول هذا المجلد تاريخ اللجنة الدولية من النقطة التي انتهى عندها بيير بواسييه في المجلد الأول. وهو يغطي الفترة الممتدة من الحرب في تريبوليتانيا في 1911 حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، وهي فترة تعج بأحداث مأساوية، حروب أهلية، ونزاعات إقليمية، وثورات وحروب دولية، شكلت آثارُها العالمَ الذي نعيش فيه اليوم. في أثناء ذلك الوقت تطور القانون الخاص بحماية ضحايا الحرب، فشمل تحت مظلته أسرى الحرب وكذلك الجنود الجرحى والمرضى على البر وفي البحر. بل وامتد نشاط اللجنة الدولية الإنساني إلى ما وراء نطاق ذلك القانون، بالوصول إلى السكان المدنيين الذين يتزايد تضررهم من جراء الوسائل المتقدمة لشن الحروب، لا سيما الطيران الحربي الذي مكن الأطراف المتحاربة من قصف المناطق المأهولة بالسكان. بالإضافة إلى ذلك، اتسع نشاط الصليب الأحمر ليشمل أنشطة زمن السلم. صارت الرابطة التي تأسست في عام 1919 تُسمى الآن الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر.

المجلد الثالث: من يالطا إلى ديان بيان فو (1945 - 1955). تأليف: كاثرين راي–شير - جنيف: اللجنة الدولية للصليب الأحمر 2017 ، 678 صفحة.

يروي هذا المجلد قصة عمل اللجنة الدولية في العقد الذي أعقب الحرب العالمية الثانية، عصر النزاعات المتعلقة بتفكك الاستعمار، في جنوب شرق آسيا وفلسطين وغيرها، وصولًا إلى الحرب الباردة والحرب في كوريا. ينظر هذا الكتاب، استنادًا إلى أرشيف اللجنة الدولية للصليب الأحمر، في كيفية استجابة اللجنة الدولية لتحديات هذه الفترة، وكيف استردت قوتها بعد أن ضربها الضعف خلال فترة الحرب العالمية الثانية.

المجلد الرابع: من بودابست إلى سايغون (1956 - 1965) وهو تأليف مشترك لـ فرانسوا بيريه، فرانسوا بونيون، جنيف: اللجنة الدولية للصليب الأحمر: جورج، 2009. 628 صفحة.

يغطي هذا المجلد، وهو متاح باللغة الفرنسية فقط، السنوات الممتدة من عام 1956 إلى 1965، وهو العقد الذي تميز بتفاقم التوتر في الحرب الباردة. يدرُس هذا الكتاب، من جملة أحداث أخرى، الانتفاضة الهنغارية في تشرين الأول/ أكتوبر 1956، وأزمة الصواريخ الكوبية، التي دفعت العالم إلى حافة حرب نووية في تشرين الثاني/ نوفمبر 1962، والتدخل الأميركي السافر في فيتنام في ربيع عام 1965. وخلال هذه الفترة، واجهت اللجنة الدولية أيضًا تحديات جديدة في عملها من أجل ضحايا النزاعات، لا سيما في ما يتعلق بوضع «المقاتلين غير النظاميين»، وحروب التحرير الوطني، وممارسة التعذيب والتهديد النووي، وهي قضايا ما تزال تحتفظ بأهمية كبيرة إلى اليوم.

المجلد الخامس، من سايغون إلى مدينة هو شي منه (1966 - 1975)، من سايغون إلى مدينة هو شي منه. تأليف جان لوك بلوندل - جنيف: اللجنة الدولية، 2016، 86 صفحة.

يستعرض هذا المجلد أنشطة اللجنة الدولية للصليب الأحمر من عام 1966 إلى عام 1975. ويبدأ هذا المجلد من فيتنام، من حيث انتهت الدراسة السابقة التي كُلفت بها اللجنة الدولية. تقدم هذه الدراسة، استنادًا إلى الأرشيفات التي فتحت مؤخرًا للجمهور، نظرةً عامة جغرافية واسعة مرتبة زمنيًّا لأنشطة اللجنة الدولية بين عامي 1966 و1975، وسردًا لأنشطة اللجنة الدولية التي تهدف إلى تطوير القانون الدولي بقدر أكبر وخلال هذه الفترة. ويساعد هذا المجلد القارئ على فهم كيف تزايدت مهنية اللجنة الدولية، التي كان عملها في البداية مقصورًا على تقديم الإغاثة المخصصة في حالات الطوارئ، وكيف صارت قادرة على إدارة العمليات الميدانية الرئيسية في أي وقت وفي أي مكان في العالم ■

متاحف متنقلة للآلام

محمد المخزنجي*

* كاتب وأديب مصري

في نوبة استرجاع ومراجعة، يكتشف الكاتب الذي يشكل أدب الرحلة جزءًا مهمًّا من كتاباته، أنه، لا شعوريًّا، ظل يبحث عن صروح الآلام البشرية في ثنايا جمالات الطبيعة ومفاتن التمدين في كل مكان ذهب إليه وكتب عنه، في الغرب كما في الشرق، في الشمال كما في الجنوب. ويظل سؤال هذا الاكتشاف معلقًا في خاطره، بينما ذاكرته تستعيد ما يتوالى عليها من صور. في حديقة «بابيار» التي تشكل جزءًا من غابة لأشجار الحور والبتولا والكستناء البرية في قلب مدينة «كييف» الأوكرانية، تنفغر في الأرض حفرة دائرية هائلة مبطنة بالنجيل الأخضر المفروش بالزهور، ومن أقصى منخفض في مركزها يسمق نصب حجري يعلوه تمثال برونزي لمجموعة من البشر تأكلهم النيران أحياءً، نساء يحملن أطفالهن، وأطفال يتشبثون بأرجل الأمهات والأطفال، وتُصدِر أفواههم جميعًا صرخات رَوَع بلا صوت، بينما عيونهم تكاد تخرج من المحاجر ألمًا وفزعًا. إنه صرح الأسرى من سكان المدينة، الذين قيل إن القوات الهتلرية جمعتهم وأحرقتهم في هذه الحفرة بعد سقوط كييف في يد النازي.

وفي البقعة المُسمَّاة «قمة العالم»، على جبل المائدة في «كيب تاون» بجنوب أفريقيا، يشق المتجول بجسمه ضباب السحب السارحة قرب الأرض، ويتنعَّم البصر بغابة غنَّاء من أشجار السرو ومروج العشب والزهور البرية، ويسمع في رحاب السكون والسكينة صدح طيور آمنة، وخفق أجنحة جذلَى بين الأغصان. وعبر هذا الدغل الفاتن، يتبدَّى بناء صغير ناصع البياض، يتضح أنه واحد من عشرات الأضرحة على قمم جبال الكاب، ترقد فيها رفات الرعيل الأول من الماليزيين، الذين جلبهم الهولنديون قسرًا في بداية القرن 17، ليعملوا في مزارع الشركة الهولندية، ثم يُقتلون لأهون الأسباب، ولا يجد ذووهم أماكن لمواراة جثامينهم سوى سطح هذا الجبل الذي كان مهجورًا، ثم تمضي عشرات السنين فتتحول هذه القبور إلى أضرحة.

وفي جنوب أفريقيا أيضًا، وعلى تل من التلال التي تحيط بمدينة بريتوريا البديعة المنبسطة في السفح، والتي تتبدى في الربيع بساطًا بنفسجيًّا تصنعه زهور «الجاكاراندا» التي تتفتح خلابة رهيفة على الأغصان قبيل بزوغ الأوراق. وفي منطقة مشجرة ومزهرة مساحتها عدة كيلومترات مربعة تُسمى «وِنُن» والتي تعني «البكاء» في لغة «البوير» أو «الأفريكان» من الهولنديين الذين استوطنوا هذا البلد، يرتفع بطول أربعين مترًا، وعرض أربعين مترًا، بناء من الجرانيت الوردي يُسمى «صرح النازحين»، يُسجل جانبًا من مذابح لم تستثنِ أبيض ولا أسود على هذه الأرض.

مذابح بدأت مع اتخاذ «رأس الرجاء» أو «رأس العواصف» في أقصى جنوبها –بين الأطلسي والهندي– محطةً للحصول على الخضراوات واللحوم الطازجة لسفن الغزاة الأوروبيين المتجهة نحو مستعمراتهم في آسيا، لوقاية بحارتها من داء «الاسقربوط» الذي حصد كثيرين من أسلافهم جراء اعتمادهم على الأغذية الجافة في رحلاتهم الطويلة من غرب أوروبا إلى تلك المستعمرات المنكوبة.

هذا الصرح الجرانيتي المطل على بريتوريا البنفسجية البديعة، بناء باذخ المعمار استلهمه مصممه من معبد أخناتون في طيبة، ليُحيي ذكريات التضحيات التي قدمها البوير في سبيل أن ينعموا بالبقاء في جنوب أفريقيا التي اتخذوها موطنًا، وقد ناوأهم فيها البريطانيون فاضطروا للنزوح شمالًا ليصطدموا بقبائل الزولو، ثم استُدرجوا لمفاوضات مع ملك هذه القبائل، تاركين نساءهم وأطفالهم في معسكر ظنوه آمنًا، لكن ملك الزولو بتحريض من الإنجليز أرسل آلافًا من أتباعه إلى هذا المعسكر، وذبحوا كل من فيه حتى الرضع، فأسُمي المكان الذي شهد هذه المذبحة «أرض البكاء»، ولم يكن البكاء نهاية القصة. لقد استدعى الدم مزيدًا من الدم، ففي 16 ديسمبر 1883 قام قائد البوير بإدارة معركة مع ملك الزولو، انهزم فيها الزولو وبلغ عدد قتلاهم ثلاثة آلاف في يوم واحد. ولم تتوقف المذابح المتبادلة بين البوير هولنديي الأصل وقبائل الزولو والهوسا من سكان البلاد الأصليين، فقد دخل البوير والإنجليز في حربين طاحنتين، حرب البوير الأولى، ثم حرب البوير الثانية التي أجج اشتعالها اكتشاف الذهب قرب جوهانسبرج عام 1886، وكانت النهاية لصالح الإنجليز الذين سيطروا على جنوب أفريقيا، مع استمرار الوجود الفاعل للبوير فيها، واستمرار شلال الدم، حتى سقوط دولة الفصل العنصري البيضاء، أو «الأبارتهايد».

وإلى الشمال من ساحل أفريقيا الغربي، في أعلى نقاط جزيرة «غوري» السنغالية، وسط حديقة طبيعية رائعة صنعتها الأمطار التي تهطل على المحيط الأطلسي وجُزره بسخاء، يبرز نُصب من الجص الهش ناصع البياض، شراعًا مليئًا بالثقوب الفاغرة، يرمز إلى أقصى اعتذار غربي حصل عليه ضحايا هذه الجزيرة في زمن تجارة العبيد، الذين تقرحت أجسامهم واختنقت صدورهم في قباء التخزين المعتمة، مُصفَّدي الأعناق والأرجل والأيادي، ينتظرون أن تنقلهم السفن عبر الأطلسي إلى مزارع القصب وأكواخ الخدم في ممتلكات غزاة الأمريكتين الأوروبيين. شراع مثقب تصفر فيه

الرسم للفنان السوري الراحل **مروان قصاب باشي** (1934 – 2016)

رياح الآلام لمن صاروا «سود أمريكا»، يعلن عن اعتذار خافت قدمه الرئيس الأميركي «بيل كلينتون» للأفارقة، عندما زار –متأخرًا– جزيرة الآلام الأفريقية هذه. وهناك، في آسيا، في تلك البقعة المسماة «الهند الصينية»، تنبسط «فينتيان»، عاصمة لاوس، ساجية في سكينة عتيقة لعلها الأعمق في العالم، وعبر شوارعها الترابية العريضة المسيجة بأشجار مدارية وارفة، وعلى مرأى من شواطئ نهر الميكونج الريان الفسيح، الباعثة على الطمأنينة، يشتري هذا الكاتب بثمن زهيد –للذكرى– غليونًا لتدخين الأفيون، تحفة من الفضة منقوشة برسوم بوذية، تؤرخ لأقذر تجارة كان الغزاة الغربيون يمولون بها حروبهم الباغية على هذا الجزء من الأرض، أفيون يميت أرواح ساكنيها، ويحرق جلودهم بالنابالم، ويسمم حقولها بالكاشف البرتقالي!

وها هي «فنوم بنه» الكمبودية التي يرويها الميكونج العظيم نفسه، وتجود عليها السماء بمطر مداري كأنه صنابير السماء تسخو بأقصى ما لديها من كرم، تغدو الشطآن مروجًا خُضرًا كثيفة الأشجار والثمار، وتضج مياه بحيراتها العذبة بثروة سمكية هائلة، ومع ذلك تبدو هذه العاصمة أفقر ما تكون، وأبأس ما تكون، مدينة لمبتوري الأذرع والسيقان الذين لا تتوقف ألغام حرب أهلية عمياء عن الانفجار تحت أقدامهم وبين أياديهم.

وفي قلبها يقبع معتقل «سي لانج» بين أشجار نخيل جوز الهند العملاقة، مسلخًا تغطي جدرانه صور من قضوا تحت تعذيب زبانية «الأخ الأكبر» –بول بوت– مثلهم مثل الآلاف الذين كونت جماجمهم هرمًا في «حقول القتل» عند أطراف هذه العاصمة.

يتعب الكاتب من مراجعة ما كتبه عن بؤر الألم الإنساني في ثنايا جمال الطبيعة البكر وسخاء عطاياها، يتعب لأنه يتذكر الكثير من تفاصيل تلك الآلام التي كتب عنها أو لم تسعها مساحات الكتابة، فيسأل نفسه: أكان ضروريًّا تشويه جمال الطبيعة البكر بآثام ما اكتوى به البشر بين فتونها؟ وتقفز إلى خاطره صور متاحف التاريخ التي تُمجِّد الماضي البعيد، فيتعلق بوعيه معنى «المتاحف المضادة» فيما كتب وكتب غيره عن آلام إنسان الماضي القريب والحاضر الماثل بين جنبات هذا الكوكب، التي سببها ويسببها قلة من غلاة البشر بألف قناع وقناع. متاحف متنقلة عبر السطور، وعلى الورق، تحيي ذكريات المرارة الإنسانية، لعل البشرية تمتعض من تكرارها، ترفض تكرارها، ربما ■

حواء

ICRC

في وداعهما الحزين:

دعونا نخبركم قليلًا عن بطلتينا حواء و سيفورا

ICRC

سيفورا

حواء محمد ليمان، هذا هو الاسم الكامل، لفتاة نيجيرية في رَيْعان الشَّباب، كانت متألقة، متفائلة، متفانية في خدمة غيرها، خصوصًا السكان المدنيين الذين يرزحون تحت نير نزاع مسلح لا يرحم في بلادها. لكن في تشرين الأول/ أكتوبر الماضي أقدمت مجموعة من الأفراد على إنهاء حياة حواء بكل قسوة في فعل «همجي بالغ الخسة»، حسبما قال بيان غاضب للجنة الدولية للصليب الأحمر. وقبل شهر من مقتل حواء، لقيت زميلتها سيفورا حسيني أحمد المصير نفسه.

كانت سيفورا تنتظر أن تُوقد الشموع في عيد ميلادها الـ25، لكن بدلًا من الشموع، فإنها قُتلت من قِبَل خاطفيها. وكانت حواء واحدة من ثلاث موظفات في مجال الإغاثة قد اختطفن في هجوم وقع في بلدة ران، شمال شرقي نيجيريا، في الأول من آذار/ مارس 2018. والموظفتان الأخريان هما سيفورا وأليس لوكشا. وقد قُتلت سيفورا عمدًا في 16 أيلول/ سبتمبر، في حين لا تزال أليس مختطفة، وكذلك لياه شاريبو، وهي طالبة في مدرسة في الخامسة عشرة من العمر، قد اختطفت في حادثة منفصلة وقعت في شباط/ فبراير الماضي. وكانت حواء وسيفورا تعملان في مركز رعاية صحية تدعمه اللجنة الدولية، في حين تعمل أليس في مركز تدعمه منظمة اليونيسيف.

وعملت حواء وسيفورا في تقديم الخدمات الصحية الأساسية والمنقذة للحياة لآلاف الأشخاص، من النازحين والسكان على حد سواء في بلدة ران التي تضاعف عدد سكانها بسبب صراع دام منذ نحو عشر سنوات في منطقة حوضٍ بحيرة تشاد، والذي أسفر عن مقتل الآلاف ونزوح ملايين السكان من المنطقة المضطربة بشمال شرق نيجيريا وحول بحيرة تشاد.

بأي ذنب قُتلن؟

وبذلت اللجنة الدولية جهودًا دؤوبة وحثيثة لتكفل الإفراج عن العاملات الثلاث في مجال الرعاية الصحية، من بينها توجيه نداء إلى الحكومة النيجيرية والمجتمعات المحلية والأفراد ذوي التأثير للعمل من أجل إطلاق سراح حواء، وفي البيان جرى مناشدة «ولاية غرب أفريقيا لتنظيم الدولة الإسلامية» الذي خطفهما واحتجزهما: «نحن نناشد ولاية غرب أفريقيا لتنظيم الدولة الإسلامية الذي احتجز هاتين المرأتين: نرجوكم أن تتحلوا بالرحمة، ونناشدكم ألا تقتلوا عاملة رعاية صحية بريئة أخرى لم تقترف ذنبًا، إذ كانت تساعد المجتمع المحلي في شمال شرقي نيجيريا».

ويشعر المرء بغصة في الحلق عندما يتذكر زميلتينا المتفانيتين حواء وسيفورا اللتين رحلتا تاركتين سيرة عطرة لكل من عرفوهما. كانت حواء نابضة بالنشاط، ممتلئة روحها بالحياة، وكانت عائلتها وأصدقاؤها يحبونها حبًّا جمًّا. وضعت نصب عينيها أن تدرس حتى تصبح قابلة وتساعد النساء في مجتمعها، وكانت هذه هي وظيفتها الأولى بدوام كامل بعد التخرج. أما سيفورا فقد كانت سند العائلة، صديقة أمها المقربة والأم المحبة لطفليها. يسأل الطفلان الجدة باستمرار عن موعد عودة أمهما، لكن الجدة المكلومة لا تعرف بماذا تجيب.

وقالت باتريسيا دانزي، مديرة عمليات اللجنة الدولية في أفريقيا، «لقد فجعتنا أنباء مقتل حواء. وكنا قد أطلقنا مناشدة للتحلي بالرحمة ولإنهاء أعمال القتل هذه التي لا يقبلها عقل. هل يُعقل أن تُقتل موظفتا رعاية صحية خلال فترة زمنية قصيرة هكذا؟ لا يوجد ما يبرر هذا».

وتضاف سيفورا وحواء إلى قائمة من الزملاء والزميلات الذين قضوا نحبهم فيما يؤدون واجبهم تجاه السكان المدنيين. وفي نيسان/ أبريل الماضي، قُتل الزميل حنا لحود، 37 عامًا، في اليمن بعد أن أطلق مسلح مجهول النار عليه، بينما كان متجهًا في مهمة للجنة الدولية لزيارة أحد السجون ■

المواضيع الأكثر قراءة في مدونة «الإنساني»

خلال الفترة الماضية، نشرت مدونة الإنساني مجموعة من المقالات والتقارير الصحافية التي لاقت درجة عالية من تفاعل القراء، من خلال صفحة اللجنة الدولية على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك. نرشح لكم هنا بعض هذه المواضيع. يمكنكم تصفح هذه المواضيع من خلال النقر على الرابط المرفق، أو من خلال استخدام أي برنامج ماسح الرمز الشريطي (Scan QR Codes)

رابط المدونة: http://blogs.icrc.org/alinsani/

عبد اللّه غنيم، رحلة أم مصرية للنجاة من مدينة تأكلها النار
الرابط: http://blogs.icrc.org/alinsani/2018/03/21/1287/

أحمد عبد الفتاح، رجل الإسعاف المصري سعيد عساكر: 25 عامًا في مهمة لإنقاذ أرواح الناس
الرابط: http://blogs.icrc.org/alinsani/2016/08/02/25/

عمر مكي، في حروب اليوم، الأخلاق أيضًا تتصارع
الرابط: http://blogs.icrc.org/alinsani/2018/05/16/1415/

إيكو باوتيستا جارسيا، البسمة عندما تجعل غزة وطني الثاني
الرابط: http://blogs.icrc.org/alinsani/2017/09/25/834/

عاطف عثمان، إبادة ذاكرة الإنسان: لمَ حاولت أيديولوجيات القرن العشرين تدمير الكتب والمكتبات؟
الرابط: http://blogs.icrc.org/alinsani/2017/10/09/888/

جنيف:

مسابقة جديدة للجنة الدولية حول القانون الدولي الإنساني بثلاث لغات منها العربية

ICRC

أعلنت اللجنة الدولية للصليب الأحمر عن جائزتها الأكاديمية لعام 2019 لأفضل عمل منشور باللغات العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية حول القانون الدولي الإنساني في القارة الأفريقية. وهذه واحدة من عدة جوائز عالمية وإقليمية تمنحها اللجنة الدولية للباحثين المتخصصين في مجال الأعمال البحثية التي تتناول قضايا القانون الدولي الإنساني.

وتهدف هذه الجائزة إلى تعزيز المعرفة بالقانون الدولي الإنساني والعمل على تطويره داخل الأوساط الأكاديمية في القارة الأفريقية.

وتنص الجائزة على أنها ستمنح مبلغًا ماليًّا مقداره ألف دولار أميركي في كانون الأول/ ديسمبر من عام 2019 لـ«أفضل عمل منشور حول أي موضوع يتعلق بالقانون الدولي الإنساني».

وتُقيَّم الأعمال المقدمة من قبل لجنة من خبراء القانون الدولي الإنساني. وينبغي على الباحثين المهتمين بالمسابقة تقديم العمل المنشور خلال الفترة ما بين الأول من أيلول/ سبتمبر 2018، وآخر آب/ أغسطس 2019، على أن يكون العمل:

- ★ مقالًا في مجلة أكاديمية محكمة تُراجع من قبل النظراء (Peer review)
- ★ أو فصلًا في كتاب
- ★ أو كتابًا كاملًا.
- ★ ويشمل ذلك الأعمال المقبولة للنشر وفي مرحلة التدقيق النهائي قبل آب/ أغسطس من العام 2019.

يُشترط في المؤلف (المؤلفون) أن يكون من مواطني دول القارة الأفريقية ممن يعيشون حاليًّا في أفريقيا أو يعملون بها. وتُقبل الأعمال بثلاث لغات: العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية.

تُرسل الأعمال المقدمة عبر البريد الإلكتروني إلى nai_com@icrc.org في موعد أقصاه 2 أيلول/ سبتمبر 2019.

وهناك مسابقة أخرى أعلنت عنها اللجنة الدولية في تموز/ يوليو الماضي وهي مسابقة بحثية للخبراء المتحدثين باللغة العربية حول المواضيع ذات الصلة بالقانون الدولي الإنساني. واختارت لجنة مسابقة هذا العام موضوع «المفقودون» لتلقي المساهمات البحثية حوله.

وقالت لجنة المسابقة إن الأبحاث يمكن أن تركز على:

استعراض الإطار القانوني لقضية المفقودين

دراسة احتياجات أسر المفقودين

- الاحتياجات القانونية والاقتصادية والإدارية والنفسية والاجتماعية للمفقودين
- العدل والإقرار العام: أهمية المساءلة

الآليات الوطنية لمعالجة قضية المفقودين/ المختفين.

لمزيد من المعلومات عن هذه المسابقة يمكنك زيارة هذا الرابط:
https://www.icrc.org/ar/document/icrc-writing-competition-ii

ICRC

غزة: تشغيل جناح جراحي في مستشفى الشفاء

افتتحت اللجنة الدولية للصليب الأحمر جناحًا جراحيًّا بسعة 46 سريرًا في مستشفى الشفاء بقطاع غزة، أملًا في الاستجابة للاحتياجات الطبية المعقدة على المدى الطويل، بعد إصابة آلاف السكان في الأحداث التي اندلعت في الشهور الأخيرة على طول الشريط الحدودي بين غزة وإسرائيل.

وحسب اللجنة الدولية، فقد أجرى الطاقم الجراحي 216 عملية جراحية، و313 متابعة جراحية أخرى في الفترة ما بين حزيران/ يونيو وتشرين الثاني/ نوفمبر الماضي، كما استفاد ما يقارب من 700 مصاب من استشارات جراحية في الفترة ذاتها.

وتأمل اللجنة الدولية أن يساعد هذا المشروع الذي يستمر ستة أشهر، النظام الصحي في غزة على تخفيف وطأة المعاناة على جرحى هذه الأحداث، إذ إن أمام ضحايا الإصابات الناجمة عن إطلاق الرصاص طريقًا طويلًا للتعافي.

وخلال أكثر من عشر سنوات، تدهور الوضع الصحي في القطاع تدهورًا غير مسبوق، بسبب النقص المزمن في الأدوية وتهالك المعدات والانقطاعات المتكررة للكهرباء. وتحاول اللجنة الدولية جاهدة دعم المستشفيات في غزة بالمساعدة التقنية والعينية منذ العام 2007.

الحرب على أبواب البيوت: فيلم بتكنولوجيا الواقع الافتراضي يضع المشاهدين في أجواء النزاعات في المدن

ICRC

يضع فيلم «الخيار الصحيح» (The Right Choice) المُعد بتقنية الواقع الافتراضي، المشاهدين في جوار عائلة سورية يحاصرها أوار حرب المدن. وهو يستعين بتجربة محاكاة لجعل المشاهدين يدركون ما هي حرب المدن وتأثيراتها على حياة البشر على أرض الواقع.

الفيلم، الذي جرى تصويره في لبنان بتوجيه ودعم من الزملاء العاملين في اللجنة الدولية بسورية، إنتاج مشترك بين اللجنة الدولية للصليب الأحمر ومشروع «داي دريم أمباكت» (Daydream Impact) الذي أطلقته شركة جوجل ووكالة دونت بانيك (Don't Panic) لإنتاج المحتوى الإبداعي.

وبإخراج هذا الفيلم إلى النور، تكون اللجنة الدولية قد دشنت أسلوبًا جديدًا في السرد الروائي التفاعلي، تضع من خلاله المشاهدين في تجربة يضطرون فيها إلى اتخاذ خيار ما في مواجهة هجوم. لكن أيًّا من الخيارات المتاحة لا يفضي إلى نتيجة إيجابية في النهاية، وهو ما يبرز حقيقة أن الحرب لا تترك للمدنيين غير الخيارات السيئة.

وقال كريستوفر نيكولاس، مدير مشروع فيلم الخيار الصحيح باللجنة الدولية: «ينقل الواقع الافتراضي المشاهدين من الأجواء المريحة في بيوتهم ليعايشوا أجواء الرعب بأسلوب يتسم بالقوة والعمق. والسؤال الذي يطرحه الفيلم هو: ماذا ستفعل إذا تعرضت لهجوم؟ لقد أردنا تقديم تجربة قصيرة ودرامية، ومقنعة وواقعية في الوقت ذاته. وكان هدفنا هو أن يعايش الأشخاص، الذين ليست لديهم أي فكرة عن النزاعات في المدن، أجواء هذه الفظائع على حقيقتها».

من ناحيتها قالت مديرة دائرة الإعلام وإدارة المعلومات باللجنة الدولية، «جنيفر هاوسمان»: «الحرب تعود لساحات المدن، والمدنيون هم من يدفعون الثمن يومًا بعد يوم. أظهر بحث صادم أجرته اللجنة الدولية في 2017 أن النزاعات في المدن مسؤولة عن 70% من الوفيات بين المدنيين في العراق وسورية. فالجماعات المسلحة تتخفى في دروب المدن وليس في الأحراش، وتدور رحى حرب العصابات في الشوارع. ويمكن أن تكون الوسائل التكنولوجية الجديدة، بما فيها الواقع الافتراضي، أداة فعالة في مساعدة جمهور واسع على إدراك التكلفة البشرية الباهظة للحروب».

يمكنك تنزيل هذا الفيلم من خلال متجر جوجل على هذا الرابط:
https://play.google.com/store/apps/details?id=com.dontpanic.thechoicevr

أما مستخدمو أبل فيمكنهم تنزيله من الرابط:
https://itunes.apple.com/ch/app/the-right-choice/id1388332027?l=en&mt=8

بحث جديد يُظهر أن حروب المدن أشد فتكًا بالمدنيين في سورية والعراق

يُبرز بحث جديد أُجري في إطار متابعة التقرير الذي نشر عام 2017 تحت عنوان «رأيت مدينتي تحتضر» الأثر الذي يخلفه القتال في مدن وبلدات سورية والعراق على المدنيين.

وبحسب البحث، فإن عدد أرواح المدنيين التي أزهقت بسبب حروب المدن يفوق عدد الأرواح التي أزهقت بسبب القتال المستمر أو الدائر في مناطق أخرى بثمانية أضعاف، وذلك في أربع محافظات في سورية والعراق خلال الفترة من آذار/ مارس 2017 إلى تموز/ يوليو 2018.

فقد راح ضحية حروب المدن التي دارت في هذه المحافظات ما يقدر بـ 6,485 مدنيًّا خلال الفترة بين آذار/ مارس 2017 وتموز/ يوليو 2018، وهو العدد الذي شكل نحو 78% من إجمالي قتلى المدنيين، وهذا حسب أفضل التقديرات.

وهذه الأرقام المحدَّثة تعزز النتائج التي توصل إليها تقرير العام الماضي، والذي أظهر أن مدن اليمن والعراق وسورية أصبحت أبرز ساحات القتال وأشدها دموية على مستوى العالم. وتسفر المعارك التي تدور في المدن عن دمار هائل، وتؤدي إلى حدوث ارتفاع حاد وسريع في أعداد الضحايا، سواء من جراء القتال مباشرة، أو بسبب الآثار المضاعفة لتلك المعارك.

تستند هذه النتائج المُحدّثة إلى البيانات المتاحة والتحليل النوعي لاتجاهات المعارك في أربع محافظات عبر سورية (دير الزور وريف دمشق، بما في ذلك مدينة دمشق) والعراق (نينوى والأنبار). البيانات المجموعة تغطي الفترة من آذار/ مارس 2017 إلى تموز/ يوليو 2018.

الموصل:

افتتاح مركز جديد لإعادة التأهيل البدني لتقديم الخدمات إلى مبتوري الأطراف في الموصل

ICRC

افتتحت دائرة صحة نينوى في وزارة الصحة والبيئة بالتعاون مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر بتاريخ 14 تشرين الأول/ أكتوبر 2018 مركزًا جديدًا لإعادة التأهيل البدني في الموصل بعد أن انتهت اللجنة الدولية للصليب الأحمر من بنائه وسلمته إلى دائرة صحة نينوى.

سيعمل المركز الجديد «مركز نينوى لإعادة التأهيل البدني»، والذي استغرق بناؤه أربعة أشهر، على معالجة ذوي الإعاقة وتقديم خدمات الأطراف الصناعية والمساند والعلاج الطبيعي.

تتحدث تيريز باول، مديرة برنامج إعادة التأهيل البدني للجنة الدولية في العراق، في هذا الصدد قائلةً: «نظرًا لحجم الدمار الهائل الذي لحق بالبنى التحتية ونقص الخدمات في محافظة نينوى، يتوجب على مبتوري الأطراف الذين يحتاجون إلى تركيب أطراف صناعية السفر لعدة ساعات إلى أربيل أو السليمانية للحصول على الخدمات. نحن نعلم أن هنالك المئات من الأشخاص لا يزالون بانتظار الحصول على هذه الخدمات الضرورية».

وتوضح منى محمود حميد هذا الأمر بالقول «قبل افتتاح هذا المركز، كان عليَّ أن أسافر إلى أربيل مع ابني المعاق البالغ من العمر تسعة أعوام وأقضي عدة أيام هناك لأنها بعيدة عن الموصل ناهيك عن الوقت المستغرق لعبور نقاط التفتيش وتكاليف النقل. والآن أصبح بإمكاننا القدوم إلى المركز والعودة إلى البيت في اليوم ذاته».

ستركز الخدمات المقدمة في المركز في بادئ الأمر على مبتوري الأطراف السفلية وسيتوسع العمل مستقبلًا ليشمل مبتوري الأطراف العليا. من جانبه بيَّن الدكتور ليث عبد الرحمن الحجار، مدير مركز نينوى لإعادة التأهيل البدني، أن «المركز سيقدم خدماته إلى قرابة 4,500 شخص من مبتوري الأطراف في محافظة نينوى وسيخفف من أعباء السفر والتكاليف على عاتق المراجعين».

وتقول كاترينا ريتز، رئيسة بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في العراق، إن «الخدمات التي يقدمها المركز ضرورية لإعادة تأهيل ذوي الإعاقة ودمجهم في المجتمع بهدف تمكينهم من الاعتماد على أنفسهم مجددًا والعمل لتوفير الاحتياجات الأساسية لعوائلهم»

خلال الفترة بين كانون الثاني/ يناير وأيلول/ سبتمبر 2018، تلقى قرابة 28,500 شخص من ذوي الإعاقة خدمات إعادة التأهيل البدني في مركز إعادة التأهيل البدني الذي تديره اللجنة الدولية في أربيل وفي 15 مركزًا أخرى تحظى بدعم اللجنة الدولية في عموم العراق.

بإمكان الأشخاص الذين هم بحاجة إلى هذه الخدمات زيارة المركز، المبين عنوانه أدناه، وتسجيل أسمائهم فيه:

مركز نينوى لإعادة التأهيل البدني، الموصل، حي الوحدة، الشارع الرئيسي مقابل جامع رشان

رقم الهاتف: 07507346453

بعثات اللجنة الدولية للصليب الأحمر في المنطقة

ICRC

الأراضي الفلسطينية المحتلة: شارع النبي شعيب رقم (14) منطقة الشيخ جراح، القدس 91202، صندوق بريد 20253
هاتف: 5917900 2 (972+) فاكس: 5917920 2 (972+)
البريد الإلكتروني: jer_jerusalem@icrc.org

الجزائر: 43 شارع المعز ابن باديس بوارسون سابقًا - الأبيار – الجزائر
صندوق بريد : 16606 الجزائر
هاتف : 03 43 92 21 / 73 40 92 21 (213+) فاكس: 18 43 92 21 (213+)
البريد الإلكتروني: alg_alger@icrc.org

الخرطوم: العمارات شارع رقم 33 – منزل رقم 16 – الامتداد الجديد
صندوق بريد 1831 – 11111 الخرطوم
هاتف: 65/476464 183 (249+) (خمس خطوط) فاكس: 183 467709 (249+)
البريد الإلكتروني: kha_khartoum@icrc.org
هاتف: 3310476/3339034 11 (963+) فاكس: 3310441 11 (963+)
البريد الإلكتروني: dam_damas@icrc.org

الصومال: Denis Pritt Road، صندوق بريد: 73226 – 00200 نيروبي، كينيا
هاتف: 301 2719 (25420+) فاكس: 13731 27 (25420+)
البريد الإلكتروني: somalia@icrc.org

الرباط: 35 زنقة القلصدي (خلف مصحة ابن خلدون) ، أكدال 10090، الرباط
هاتف : 537750551 (212+) فاكس : 537651018 (212+)
البريد الإلكتروني: rab_rabat@cicr.org

القاهرة: 84 شارع 104 حدائق المعادي، 11431 القاهرة، مصر
هاتف: 41/25281540 2 (202+) فاكس: 25281566 (202+)
البريد الإلكتروني: cai_lecaire@icrc.org

الكويت: البعثة الإقليمية لدول مجلس التعاون الخليجي (تغطي أنشطتها: الكويت، السعودية، الإمارات العربية المتحدة، قطر، البحرين، سلطنة عمان) الجابرية، قطعة 8، شارع رقم 17، منزل رقم 4 صندوق بريد: 28078 – الصفاة 13141
هاتف: 53220612 / 53220622 / 53220982 (965+) فاكس: 25324598 (965+)
البريد الإلكتروني: kow_koweitcity@icrc.org

بغداد: الصالحية، حي السكك، محلة 220، زقاق40 دار 6 ص.ب 3317 العلوية بغداد– العراق
هاتف: 7/ 8126 443 770(0) (964+) 5/ 7801 964614(0) (964+)
البريد الإلكتروني: bagdad@icrc.org

بيروت: بناية منصور، شارع السادات، الحمرا، صندوق بريد 7188–11
هاتف: 739297/739298/739299 1 (961+) فاكس: 740087 1 (961+)
البريد الإلكتروني: bey_beyrouth@icrc.org

تونس: بعثة إقليمية، (تغطي أنشطتها: تونس – موريتانيا – الصحراء الغربية) المندوبية الإقليمية بتونس نهج بحيرة كنستنس، رواق البحيرة عمارة أ، ضفاف البحيرة تونس 1053
هاتف: 960179/960154/960196 71 (216+) فاكس: 960156 71 (216+)
البريد الإلكتروني: tun_tunis@icrc.org

جوبا: شارع الوزارات العمارات، جوبا، جمهورية جنوب السودان
هاتف: 889 151 977 0/ 170 275 912 0 (211+)
البريد الإلكتروني: jub_juba@icrc.org

دمشق: أبو رمانة، ساحة الروضة، شارع مصر، صندوق بريد 3579
هاتف: 3310476/3339034 11 (963+) فاكس: 3310441 11 (963+)
البريد الإلكتروني: dam_damas@icrc.org

طرابلس: النوفلين - شارع ابراهيم الهوني 10,53,050 بالقرب مصحة الأخوة طرابلس - ليبيا
هاتف: 9332 340 21/ 9331 340 21 (2180+)
البريد الإلكتروني: tri_tripoli@icrc.org

طهران: طهران، إلهيه، شارع شهيد شريفي منش، زنقة آذر رقم 4، قرب مستشفى أختر. الرمز البريدي: 1964715353
هاتف: 4–2122645821 (98+) فاكس: 2122600534 (98+)
البريد الإلكتروني: Teh_teheran@icrc.org

صنعاء: شارع بغداد، رقم 19، منزل رقم 20 صندوق بريد: 2267 صنعاء
هاتف: 4/ 467873 / 44 38 21 1 (967+) فاكس: 75 78 46 1 (967+)
البريد الإلكتروني: san_sanaa@icrc.org

عمّان: دير غبار، حي الديار، شارع يوسف أبو شحوت صندوق بريد 9058 عمان 11191
هاتف: 5921472/4604300 6 (962+) فاكس: 5921460 6 (962+)
البريد الإلكتروني: amm_amman@icrc.org

نواكشوط: الحي A، المنزل رقم ZRA 722، صندوق البريد 5110، نواكشوط، الجمهورية الإسلامية الموريتانية
هاتف: 45245810/45244738 (222+) فاكس: 45244697 (222+)
البريد الإلكتروني: nou_nouakchott@cicr.org

القانون الدولي الإنساني... مسرد المصطلحات الرئيسية

يستطيع الصحافيون من خلال إثراء معرفتهم بالقانون الدولي الإنساني، واستخدام المصطلحات القانونية استخدامًا صحيحًا، تطوير التغطية الإخبارية التي يعملون عليها، وكذلك المساهمة بقوة في رفع وعي قطاع أعرض من الجمهور بالنزاعات المسلحة وأشكالها، والأهم المعرفة بمحظورات الحرب: حظر استهداف المدنيين والأعيان المدنية.

لذا صممت اللجنة الدولية هذا الكتيب المبسط «القانون الدولي الإنساني... مسرد المصطلحات الرئيسية» الذي يحوي أهم مفاهيم القانون الدولي الإنساني مع شرح مبسط لها. لا يسعى هذا الدليل – ولا يستطيع – إلى تحويل الصحافيين إلى خبراء في القانون الدولي الإنساني، وإنما إلى تقديم المعرفة الأساسية عند تغطية النزاعات المسلحة، وأعمال العنف واسعة النطاق، حتى لو كانوا على مكاتبهم يدبجون تقارير، أو يحررون أخبارًا. للحصول على نسخة من هذا المسرد، يمكنك زيارة هذا الرابط على مدونة الإنساني:

http://blogs.icrc.org/

أسس القانون الدولي الإنساني

ما هو القانون الدولي الإنساني؟ وما هي أهميته؟ كيف يوفر الحماية؟ ومن الذين يحميهم؟ تجدون في هذه المطوية إجابات بسيطة وموجزة عن هذه الأسئلة وغيرها من الأسئلة ذات الصلة، كما تشتمل على نظرة عامة عن دور اللجنة الدولية بوصفها الوصي على القانون الدولي الإنساني. وتُعد هذه المطوية مقدمة مُثلى للقانون الدولي الإنساني. يمكن الحصول على هذه المطبوعة من خلال هذا الرابط:

https://www.icrc.org/ar/publication/0850ss-international-humanitarian-law

الخدمات الحضرية في أثناء النزاعات المسلحة الممتدة

لمدة تزيد على 30 عامًا كانت اللجنة الدولية للصليب الأحمر «تتعلم عبر التطبيق» في المناطق الحضرية التي أصبحت مسرحًا للنزاع المسلح الممتد. ونتيجة لذلك، فقد طورت مناهج أكثر فعالية تحقق الاحتياجات المتجددة على أرض الواقع. وعلى سبيل المثال، حافظت اللجنة الدولية على تواجد طويل الأمد في العراق منذ بداية حرب الخليج الأولى عام 1991، حيث بدأت بالحفاظ على شبكة كهرباء المدينة والإمداد بالمياه ومحطات معالجة المياه العاملة ثم أقلمت استجابتها عبر الوقت مع السياق المتغير. وفي سورية اليوم، تؤمن اللجنة الدولية دعمًا لتشغيل والحفاظ على البنية التحتية الأساسية على امتداد معظم مساحات الدولة، متضمنًا الإمداد بمنتجات معالجة المياه التي لم تعد متوفرة محليًّا لضمان الحصول على مياه شرب آمنة.

وبناءً على تجربة اللجنة الدولية يحلل هذا التقرير الاستجابة الإنسانية في المناطق الحضرية والتدهور التدريجي للخدمات الأساسية أثناء النزاعات المسلحة الممتدة. وقبل كل شيء، تم لفت الانتباه إلى التأثير التراكمي الهائل والخطر المتزايد الذي تتعرض له الصحة العامة. وإلى حد كبير، تنبع المشاكل من تعقيد النظم الحضرية واعتمادها على البنى التحتية المترابطة وذات النطاق الواسع والتي تعتمد على وجود فريق العمل المؤهل لضمان توصيل الخدمات. وتدعو أيضًا للعمل للتصدي للتحديات التي تنشأ في بعض البيئات بسبب قلة احترام القانون الدولي الإنساني في حرب المدن، ومن تأثيرات الاعتداءات على البنى التحتية الحضرية المعقدة والمترابطة.

للاطلاع على هذا التقرير، يمكنك زيارة هذا العنوان:

https://www.icrc.org/ar/publication/lkhdmt-lhdry-thn-lnzt-lmslh-lmmtd

التصدي لمسألة النزوح الداخلي أثناء النزاعات المسلحة وحالات العنف الأخرى

يتكبد النازحون مشاق عظيمة، فالنزوح يعطل حياتهم ويقطع سبل كسب العيش ويضعهم أمام أخطار جمَّة تهدد صحتهم العقلية والبدنية. وتلقي الأوضاع بظلالها أيضًا على الأشخاص الذين تركهم النازحون خلفهم والمجتمعات الجديدة التي تستضيفهم. ويشكل عدم التصدي للمشكلة وإيجاد حلول دائمة لها أمرًا مثيرًا للقلق. يتناول هذا الكتيب القضية، ويقدم عرضًا مفصلًا لأسلوب عمل اللجنة الدولية في مساعدة الأشخاص على تفادي النزوح، والتعامل مع الاحتياجات الخاصة للنازحين والمجتمعات المضيفة. يمكن الحصول على هذا الكتيب من خلال هذا الرابط:

https://www.icrc.org/ar/publication/internally-displaced

this war, journalism coverage had also reached unprecedented levels. Partly similar to the Great War, wars recently fought in the Arab region witnessed the emergence of several Arab war correspondents who provided high-quality coverages, characterized by depth and impressive grasp: They master Arabic, using it with admirable preciseness without sacrificing clarity, and harnessing various linguistic techniques to describe harsh realities in vivid language. They try to depict realities unfamiliar to most people living in this part of the world: Seeing tens of thousands of dead people; millions of people displaced; Arab metropolises, with all their unique architectures and landscapes, virtually ravished by brutal systematic and unsystematic violence. Some of these correspondents preserved complete impartiality and maintained a professional and reasonable distance from all parties to the conflict – though, understandably, some readers would intensely argue against the concept of "media being impartial". Others were rather partial to one party or another. However, there was an unmistakable phenomenon: We encountered Arab voices that elaborately and vividly gave account of these wars. We followed journalists and correspondents, of both genders, who strived for providing largely comprehensive and balanced coverage of various contexts torn by wars in our region.

In the present issue, we listen to journalists who give accounts of wars they witnessed, telling us about professionality and objectivity tests they had to go through in the time of war. Those correspondents have become experts in war coverage, developing a style of their own, characterized by its humanitarian nature that emphasizes that victims of war are not just statistics.

Taking the initiative in 2011, we discussed the protection of journalists in armed conflicts, in issue no. 52, entitled "Media Professionals .. Witnesses to War". In 2015, with more details we addressed the challenges of media roles, in issue no. 58 entitles "Social Media .. Extensions to Our Selves." The present issue, the third in this sequence, is addressing the topic of "media and armed conflicts".

«Al-Insani»

Contents

• **News Ticker is Insufficient: 20 Million Stories of Hope and Suffering**, By: **Salma Oda** (Digital Unit, Regional Communication Center, Cairo)
In recent years, Yemen has turned into the world's greatest tragedy; virtually the whole Yemeni people are facing a harsh challenge with time. Unbearable conditions that are conspiring with extreme hunger against the people of Yemen cause unspeakable suffering, with fear that they may face the worst famine known in a hundred years. In spite of such suffering, parties to the conflict continue to ignore laws of war that ensure protection of civilian populations.

• Al Insani: Twenty Years of Humanitarian Journalism
Twenty years ago, the first issue of Al Insani appeared, with the aim of approaching "decision makers, intellectuals, media circles, observers and concerned people, and victims to open up a dialogue regarding the need to enforce law and supporting humanitarian work". Over the past two decades Al Insani remained loyal to its mission in which it became a witness to humanitarian crises that hit the Arab world and the whole world since the nineties.

• **Al Insani Magazine: The Culture of War Law in the Arab world**, By: **Zeinab Ghosn** (Al Insani editor in chief)

• **Landmarks in the History of Al Insani**, By: **Enayat Farid** (an Egyptian writer)

• **Mohyie El-Din El-Labbad: Al Insani as a Regular Workshop for Designing Light**, By: **Ahmed El-Labbad** (An Egyptian Illustrator and Graphic Designer)

• **Issue Topic: Media and Documentation of War Memories**

• **Being A Journalist in Gaza .. A One-way Ticket**, By: **Lana Shaheen** (A Palestinian journalist)

• **The voice of the journalist reaches whoever is concerned. In a certain place in Gaza a journalist cannot separate her job from her humanity**.

• **A Mission in the Heart of Fire**, By: **Sara Nour El-Din** (Egyptian journalist)
I was walking by myself, carrying my camera, waiting for an interesting shot to capture. No sound was louder than that of the battle fought in that morning. People of Mosul were seeking shade on that sunny day. I left them and moved in an armed vehicle towards their old city, where battles were fought in the last fortress of ISIS.

• **Arab Media and Professional Challenges in Covering Conflicts**, By: **Mazen Aman** (Egyptian journalist)
There are reasons that make journalists turn a blind eye to some realities during field coverage, such as their belief in the justice of a certain cause or their fear of losing their journalistic license or even their jobs.

• **In Homs I Owned the Truth**, By: **Anda Al Khateeb** (Digital Officer, ICRC, HQ)

• **Seasonal Coverage: Do the Refugees Speak? Voiceless Refugees in Arab Media**, By: **Ayat Al Habbal** (Egyptian journalist)
Arab media seems to have failed in the test of providing professional coverage on refugees' conditions. Experts say that refugees have become voiceless, their opinions on matters that are significant to them are not sought.

• **Home Resides in Social Nexus**, photos By: **Roget Anis** (Egyptian photojournalist)

• **Good Morning .. War is Here**, By: **Noha Atef** (Egyptian academic)
With the increase of Arab users of the Internet, personal writing on blogs flourished; Blogs gave opportunity to many people to demonstrate aspects of human life and write about daily life in war-ridden places. But with rapid development Arab Internet users began their digital immigration to social media outlets, which have become the most widely used tools by those who experience war and conflict.

• **Muhammed Draghma, a Palestinian Journalist: Our Role is to Enlighten, Not to Revolt**, By: **Ahmed Zaki** (Editing Manager of Al Insani)
Draghma, has extensive expertise in news coverage inside the Palestinian Occupied Territories. His is a prominent name in a list of journalists who carefully consider professionality in their career. Al Insani had this dialogue with Draghma – questions asked may seem to be obvious but highly complicated in Arab reality.

• **Black Media: Digital Extension to Violence Fields and Hate Speech**, By: **Muhammed Allam** (Media Analyst, ICRC, HQ)
Digital media is an essential tool in covering what is going on in the field to inform a wider audience. However, negative aspects of this tool began to appear: Virtual space on social media has become an extension for battles fought on ground.

• **When Machines Go to War, by Al-Eshash Isaac (IHL Algerian Researcher, working on a doctoral thesis on killer Robots)**
Currently, there is a heated discussion on controls over the use of automated weapons (advanced weapon systems capable of independently taking decisive military decisions in battlefields). This essay aims at analysing the legal dimensions of one of the most important weapon of these, namely killer robot.

• **Nobel Peace prize for 2018: Sexual Violence in War under Spotlight**, By: **Helen Durham** (legal expert and Director of International Law and Policy at the ICRC)
Nobel Peace Prize for 2018 went to Nadia Murad and Denise Mukwigui, both activists who struggle against sexual violence in war. This news has brought hope in these difficult times, in which the bitter suffering of civilians - especially women - continues in armed conflicts. This moment gives courage and hope to the victims of sexual violence in conflict and those who are struggling to eradicate this crime, and an opportunity to reflect on the work we have done and the endeavours we still have to make.

• **Senior military officers discussing challenges of compliance to war rules**.

• **A Family Visit**, By: **Alyona Synenko**

• **A Day in the Life of the ICRC**

• **A Book Review: History of the International Committee of the Red Cross in 5 Volumes**

• Without Retouches: **Mobile Museums of Agonies**, By: **Muhammed El Makhzengy**

• **Obituary: Our two Heroines, Hauwa and Saifura**

• **World Pillars**

Editorial

War in the Eyes of Arab Journalists

Al Insani magazine 20th anniversary is perhaps the best occasion to approach a topic that has always been a centerpiece in all previous issues of Al Insani – namely covering wars and allowing space for civilians to express their sufferings. Indeed, both topics are intermingled in the present issue of the magazine: celebrating 20 years of Al Insani and giving an account of the media coverage of the recent wave of conflicts that swept over the Arab region.

Commencing its mission, Al Insani started with limited potentials but obvious uniqueness. It was launched as a publication dedicated to the dissemination of International Humanitarian Law (IHL) and giving voice to groups and communities challenging the realities of war: Men and women affected by conflicts, whether they are displaced persons, refugees, humanitarian workers, medical care personnel or journalists trying to depict the atrocities and scourges of war. In the previous issues of the magazine, field coverage always came hand in hand with our endeavors to present IHL to a wider readership. Unabatedly and tirelessly, each Insani issue iterated that "wars have rules", such as prohibition of targeting non-combatants and civilian objects, by which all parties to conflict must abide.

During the past twenty years, 64 issues of Al Insani came to light, bearing witness to all kinds of armed conflicts that scourged the Arab region and the whole world. Recent issues covered the wave of wars that swept through the region since 2011 in which we witnessed millions of people flee their homes, live in displacement or in refugee camps, leaving their beloved cities staggering under the consequences of harsh military attacks.

However, as we learned from the Great War (1914 – 1918) that was fought a hundred years ago, war has many faces to show other than suffering and destruction. During the Great War, military acts did not only result in developments in technology, transportation and medicine, but they also led to the emergence of calls for peace and solidarity with civilians suffering from wars. During

المعضلة

قبل خمسة عشر عامًا خرج ابني مع هذه الدراجة لينجز بعض الأعمال. عادت الدراجة، أما هو فلم يعد. كان عمره وقتها 27 عامًا، وكان يكد حتى يجمع مهر الفتاة التي خطبها. حاصرنا القلق طويلًا، ولم نعرف ماذا نعمل. استشرنا حكماء القرية الذين أدَّوا طقوسًا، أخبرونا بعدها أن ابننا قُتل في الكونغو. لذا أتممنا مراسم الجنازة في كوخه مع العائلة. إلا أن اللجنة الدولية للصليب الأحمر جاءت إلينا لتأخذ أسماء من فُقدوا. ذهبت أنا وزوجتي، فقد كان عسيرًا علينا أن نصدق أن ابننا قُتل ولم يره أحد ولم يعثر على جسده أحد. يحدونا أمل في أنه حي يرزق. لكن لو كان حيًّا لعاد إلينا. هذه هي معضلتنا. لكني على أي حال، أحتفظ له بفراشه وببقايا الدراجة.